

هرتزل والأماكن البديلة لفلسطين (١٨٩٥ - ١٩٠٥م)

ممدوح الروسان

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن

ملخص

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الآتي وهو: لماذا كانت فلسطين في نظر هرتزل والحركة الصهيونية، المكان الأول والأفضل، والوحيد، لإقامة وطن قومي لليهود فيها. وتؤكد في الوقت نفسه أن الأماكن البديلة التي فكر فيها أو عرضت عليه، كانت بدائل مؤقتة، يمكن الإنطلاق منها إلى فلسطين أو مبادلتها بها، بل والضغط من خلالها على الدولة العثمانية للاستجابة للمطالب الصهيونية.

Abstract

This Study is an attempt to answer the following question: Why Palestine was, in the eyes of Herzl, and the Zionist movement, the only and the best place to establish the Jewish national home?

The study also shows that other alternative places, which Herzl thought of, or were offered to him were temporary alternative, that could allow jews to move from them to Palestine, to trade them for Palestine, or to use these places as a way to force the Ottoman Empire to agree to the Zionist demands.

تمهيد:

إن فكرة عودة، أو إعادة اليهود إلى فلسطين فكرة أوروبية^(١)، ولدت في صالونات الحكام الأوروبيين، وليس في أحياء، أو غيتوات "Ghettos" اليهود في أوروبا^(٢).

ومن هذه الدعاوات على سبيل المثال لا الحصر، أولاً: دعوى نابليون لليهود (الإسرائيليين) في ١٧٩٩/٥/٢٢ كي ينهضوا، ويطالبوا بحقوقهم ومكانتهم بين شعوب العالم، فكان أول رجل دولة يقترح إقامة دولة في فلسطين قبل صدور وعد بلفور (Balfour) بـ ١١٨ عاماً. وقد وصفه وايزمن Wiezmann بأول الصهيونيين الحديثين من غير اليهود^(٣).

وثانياً: مساعي بالمستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني لدى الدولة العثمانية (١٨٣٩ - ١٨٤٠) للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ليكونوا شوكة في خاصرة محمد علي باشا، وخططه الشريرة ضد الدولة العثمانية، ولم يرتفع صوت يهودي واحد طالب بإعادة اليهود إلى فلسطين، ليس بين يهود أوروبا، بل أيضاً بين يهود سوريا ومصر وتركيا^(٤). فحاشات اليهود بخاصة كانوا يعارضون العودة من منظور توراتي، وهو أن العودة لا يمكن أن تبدأ إلا بظهور المسيح^(٥).

وفي عام ١٨٨١ ظهرت في روسيا جمعية أحياء صهيون Choveve Zion، التي دعت إلى هجرة اليهود إلى فلسطين، وأنشئت جمعيات يهودية مماثلة لها في ألمانيا وفرنسا وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية^(٦). ويذكر أسعد رزوق أن الاسم الروسي للجمعية هو حب فلسطين Palestino Philistvo، والشعار الذي رفعته هو إلى فلسطين^(٧) في عام ١٨٩٠، أطلق ناثان بيرنوم Nathan Birnbaum (يهودي ألماني) كلمة زيون (Zion) على هذه الحركة الهادفة إلى تجميع اليهود في أرض إسرائيل (Eres Israel)، فلسطين، وشاع استعمالها منذ عام ١٨٩٣م^(٨).

اتخذت هذه الحركة شكلها التنظيمي في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بال (Bazle) في سويسرا برعاية نودور هرتزل Theodor Herzl (يهودي نمساوي من أصل مجري) (١٨٦٠ - ١٩٠٤)، آب ١٨٩٧. ويعد هذا المؤتمر بمثابة الجمعية التأسيسية للحركة الصهيونية، إن لم يكن بمثابة الدولة اليهودية في طور التكوين وليس أصدق في الدلالة على ذلك مما قاله هرتزل في ٣ / أيلول/ ١٨٩٧ تعليقاً على قرارات المؤتمر. فقد كتب يقول: "في بال أسست الدولة اليهودية وبعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وخمسين سنة على وجه التأكيد سيرى الناس هذه الدولة"^(٩). وقد تحققت توقعات

هرتزل هذه عندما أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين، وإقامة دولة يهودية فيها في ١٩٤٧/١١/٢٩ .

أما اللجنة التنفيذية للمؤتمر الصهيوني. فكانت بمثابة الحكومة اليهودية. هذا ما اعترف به ماكس نوردو (Max Nordou) نائب رئيس المؤتمر، فقد كتب إلى هرتزل (بعد المؤتمر) قائلاً: " اعتبر نفسك أنت الحكومة " (١٠) .

لقد نجح هرتزل خلال سنوات قليلة في تحويل الصهيونية من فكرة غامضة عام ١٨٩٦ إلى حركة جماهيرية، ذات قوة سياسية مؤثرة (١١) .

ومع أن المؤتمر الصهيوني الأول اختار فلسطين كأول، وأفضل مكان لتحقيق هدف الصهيونية الرئيسي، وهو : إقامة وطن قومي (دولة) للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام " (١٢) ، إلا أنها لم تكن المكان الوحيد الذي فكر فيه، أو عرض عليه لتحقيق هذا الهدف الصهيوني. فقد فكر في عدة أماكن وعرضت عليه أماكن أخرى بديلة لفلسطين من قبل المسؤولين الأتراك، والبريطانيين.

والأسئلة التي تطرح نفسها هي: ما هي تلك الأماكن التي فكر فيها؟ وما هي الأماكن التي عرضت عليه؟ وهل كانت تلك الأماكن بنوعيتها (أي التي فكر فيها، أو عرضت عليه) بدائل استراتيجية، أو نهائية لفلسطين؟ أم كانت بدائل مرحلية ومؤقتة يمكن الانطلاق منها إلى فلسطين، أو مبادلتها بها؟ ثم متى؟ ولماذا؟ أصبحت فلسطين المكان (الوحيد)، بعد أن كانت المكان الأول، والأفضل لوطن اليهود القومي؟! هذه الأسئلة هي ما تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عنها من خلال يوميات هرتزل التي أعدها الدكتور أنيس الصايغ، مقرونة بالكتابات الصهيونية الأخرى، التي اعتمدت بدورها على تلك اليوميات، وحللتها. علاوة على العديد من الدراسات العربية والأجنبية التي اعتمدت على الوثائق البريطانية، والألمانية، والعثمانية .

هرتزل وفلسطين:

لم تكن فلسطين المكان الأول الذي فكر فيه هرتزل لاستقبال المهاجرين اليهود منذ أن بدأ يدون يومياته أيار ١٨٩٥. ففي رسالته إلى آل روتشيلد Rothschild في ١٨٩٥/٦/١٤ قال: " الآن سأخبركم كل شيء عن أرض الميعاد إلا مكانها ". ووصف فلسطين التي فكر فيها أولاً بقوله: " إنها مركز شعبنا، وأجدادنا الذي لا ينسى ". إلا أنه لم يتحدث عنها، ولكنه تحدث عن الأرجنتين، وأضاف: لست ضد فلسطين، ولا مع الأرجنتين " (١٣) .

ويبدو أنه كان لبعض الشخصيات اليهودية التي التقى بها خلال إعداداته لكتابه (دولة اليهود Judenstaat)، (أو الدولة اليهودية كما هو شائع) أثر في تفضيله لفلسطين على غيرها من الأماكن لتحقيق هدف الصهيونية الرئيسي. وتمثل هذه الشخصيات في الحاخام حاييم بلوخ (Ghiam Bloch) عضو برلمان النمسا الذي علق على ما قرأه له هرتزل من مسودة كتابه دون الإشارة إلى فلسطين بقوله : " إن فلسطين وطن اليهود القديم، إنما رمز لما يتوقعه الأنبياء لآمالهم ". وقد دفع هذا أعداداً من أصدقاء هرتزل إلى إقناعه بأن كلمة فلسطين المغناطيسية وحدها هي التي يمكن أن تثير اليهود ليهاجروا إليها ^(١٤) .

وسمع هرتزل لدى زيارته لندن ١٨٩٥/١١/١٤ تعليقات مثالة من صموئيل مونتاجو "Samuel Montagu" (عضو مجلس العموم)، وجولد سمد (Goldsmid) الذي أشرف منذ عام ١٨٩٣ على المستعمرات اليهودية في الأرجنتين، التي كان يمولها البارون موريس دي هيرش Maurice de Hirsch، الثري ورجل الأعمال اليهودي الألماني ^(١٥) .

فقد أبدى مونتاجو استعداداً للسكن مع جميع أفراد عائلته في فلسطين، بل إنه لا يريد أن يسمع شيئاً عن الأرجنتين. أما جولد سمد فقال : " إن فلسطين فقط، يمكن التفكير فيها " ^(١٦) .

هذه التعليقات ربما كانت من أسباب تفضيل هرتزل فلسطين على الأرجنتين في كتابه " الدولة اليهودية " الذي صدرت طبعته الأولى في شباط ١٨٩٦. فقد اعتبر فلسطين أحد مكانين لهذه الدولة، وهما فلسطين والأرجنتين. ومع أنه ترك اختيار أحدهما للرأي العام اليهودي، وللجمعية اليهودية التي ستختار أحد المكانين على اعتبارات سياسية (براءة دولية، أو ميثاق)، وجغرافية (موقع - مساحة - مناخ - خصوبة) قائلاً : " سنأخذ ما يعطى لنا، وما يختاره الرأي العام اليهودي " ولكنه أعطى فلسطين أفضلية بدليل قوله : " إنما وطننا التاريخي الذي لا تمحى ذكره، إن اسم فلسطين في حد ذاته سيجذب شعبنا بقوة ذات فعالية عالية " ^(١٧) هل يختلف هذا الكلام عما قاله كل من بلوخ، وصموئيل مونتاجو، وجولد سمد؟

وعندما نجح هرتزل في عقد المؤتمر الصهيوني الأول آب ١٨٩٧ (كما سبقت الإشارة) وردت كلمة فلسطين كمكان وحيد كوطن قومي لليهود دون أن تقترن بكلمة الأرجنتين كما وردت في كتاب الدولة اليهودية، بل لم تستخدم كلمة الأرجنتين مرة أخرى ويرجع هذا التعلق بفلسطين إلى لقاءات أجراها هرتزل بعد نشر كتابه مع بعض الشخصيات أمثال القس وليم هشلر William Hechler (الموظف في السفارة البريطانية في فيينا) والمصرفي النمساوي اليهودي أدولف دسور الذي تنبأ بعودة اليهود إلى فلسطين خلال خمسين عاماً، زيادة على د/دأريلا، مدير مستشفيات روتشيلد في فلسطين، الذي أخبره أن جمعية الاستعمار اليهودي تحولت عن الأرجنتين، ولم تعد تستثمر أموالها إلا في فلسطين ^(١٨) .

إن هذه اللقاءات ولا شك كان لها أثرها في إسقاط اسم الأرجنتين، وإبقاء اسم فلسطين كأفضل مكان " لوطن قومي لليهود يضمنه القانون العام " ولقد استخدمت هذه العبارة في قرارات المؤتمر كبديل تكتيكي لعبارة الدولة اليهودية، تجنباً لإثارة الأتراك، كما اعترف بذلك ماكس نوردو، معمد أو محرر برنامج بال^(١٩) .

كان هرتزل يعتقد أن حل المسألة اليهودية يكمن في هجرة يهود الشتات بصورة علنية، وواسعة (جماهيرية) إلى فلسطين؛ شريطة أن تسبقها براءة أو ميثاق (CHARTER) أو فرمان يصدره السلطان العثماني، يسمح بموجبه هذه الهجرة اليهودية إلى فلسطين وحكم اليهود لها ذاتياً، ولا مانع من خضوعهم للقوانين العثمانية بحيث يصبحون مواطنين عثمانيين، بما في ذلك أداء الخدمة العسكرية الإجبارية^(٢٠) . (مقابل ذلك يساهم اليهود برعاية هرتزل في تسوية ديون الدولة العثمانية للدولة الأوروبية، أي تسوية أزمته المالية، التي تدمي رجل السلطان) زيادة على التأثير على الصحف الأوروبية، في لندن وباريس، وبرلين، وفيينا، لتتناول المسألة الأرمنية بلهجة معتدلة، غير معادية للأتراك^(٢١) .

تحقيقاً لهذا الهدف قام هرتزل بخمس زيارات إلى استانبول، ووسط القيصر الألماني فلهلم (وليم) الثاني (Wilhelm II) ١٨٩٨، كما سعى لوساطة القيصر الروسي ١٩٠٣، وكل من ملك إيطاليا، والبابا ووزير خارجية النمسا ١٩٠٤ .

زيارات هرتزل إلى استانبول :

جاءت زيارته الأولى في الفترة ما بين ١٧-٢٨/حزيران/١٨٩٦، بوساطة فيليب مايكل نفلنسكي Philipp Machel de Newlinisky (صحفي، وعميل سياسي نمساوي من أصل بولندي)^(٢٢) . ومع أن هرتزل قابل (خلال هذه الزيارة) عدداً من المسؤولين العثمانيين، كالصدر الأعظم خليل رفعت باشا^(٢٣) ، ومحمد نوري بك، سكرتير وزارة الخارجية، وعزت العابد، سكرتير السلطان عبد الحميد الثاني إلا أنه لم ينجح لا في مقابلة السلطان، ولا في الحصول على مباركته بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، والتخلي عنها كبلد مستقل، هدف الزيارة ، كما حدده هرتزل في ٣ /أيار/١٨٩٦^(٢٤) .

لقد كان موقف السلطان صريحاً، وواضحاً في المقابلة التي أجراها معه نفلنسكي ، نيابة عن هرتزل فقد قال السلطان: " لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد (فلسطين) لأنها ليست لي، بل لشعبي " . وأضاف: " لبيحفظ اليهود ببلابينهم، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، ولكن فقط عند تقسيم حثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي سبب "^(٢٥) .

ورغم ذلك فقد عدّ هرتزل زيارته ناجحة. فقد كان لديه ما يحمله على الاعتقاد بأن المسؤولين الأتراك، بما فيهم السلطان راغبين بعقد الصفقة، إذا وجدت الصيغة المناسبة^(٢٦). ولا أدري كيف توصل هرتزل لهذا الاعتقاد. فرد السلطان صريح وواضح، ويبدو أن هرتزل لا يريد أن يعترف بفشل زيارته هذه إلى استانبول.

أما زيارة هرتزل الثانية فكانت في أعقاب المؤتمر الصهيوني الثاني (بال ٢٨-٣١/آب/١٨٩٨)، الذي تقرر فيه تكثيف الاستيطان اليهودي في فلسطين بتأييد من صهيوني روسيا^(٢٧). هذا من ناحية، وعلى هامش زيارة القيصر الألماني وليم الثاني إلى استانبول والقدس من ناحية أخرى. فقد أبلغ السفير الألماني في فيينا هرتزل يوم ٢٧/٩/١٨٩٨، أن القيصر (الألماني طبعاً) سيشعر باستياء إذا لم يره (أي هرتزل) في القدس^(٢٨).

قابل هرتزل القيصر الألماني في استانبول يوم ١٨/١٠/١٨٩٨، فسأله القيصر: "ما الذي يجب علي أن أطلبه من السلطان؟" فرد هرتزل قائلاً: "شركة (يهودية طبعاً) مؤجرة، تحت الحماية الألمانية"^(٢٩). هذا يعني أن مطالب هرتزل انكشفت. فبعد أن كان يطالب بحكم اليهود لفلسطين حكماً ذاتياً^(٣٠). نجده الآن يتواضع، ويطلب بشركة يهودية مؤجرة تحت الحماية الألمانية.

فهل لى القيصر الألماني طلب هرتزل؟ وما هو رد السلطان العثماني على ذلك؟ تشير المصادر الألمانية إلى أن القيصر، (وخلال حفل العشاء الذي أقامه السلطان على شرفه فاتح السلطان بموضوع المسألة اليهودية مرتين. إلا أن رد السلطان كان سلبياً، إن لم يكن فظاً. فرداً على ما قاله القيصر: "ليس هناك خطر على تركيا من الصهيونيين، ولكن اليهود أينما وجدوا فإنهم مزعجين إلى درجة أن المرء يريد التخلص منهم"

But every where the Jews are a nuisance, of whom one should like to get rid

"رداً على هذا قال السلطان "إنه مرتاح مع رعاياه اليهود"

he was quite satisfied with his Jewish subjects"^(٣١)

فرد السلطان هذا ربما دفع القيصر (كضيف على السلطان) إلى عدم متابعتة للموضوع وفي الوقت نفسه أعرب عن رغبة مكبوتة وهي التخلص من اليهود.

موقف السلطان هذا يفسر لنا خيبة أمل هرتزل من مقابلته للقيصر الألماني في القدس يوم ٢/١١/١٨٩٨. فقد كان اللقاء قصيراً وفاتراً. ووصف هرتزل رحلته إلى فلسطين بالفاشلة^(٣٢). فلم يعقب القيصر على خطاب هرتزل (الذي ألقاه أمامه في القدس)، علماً بأنه أعده بناء على طلب القيصر

وعدله بناء على رغبة وزير الخارجية الألماني فون بولوف Von Bulow وفيه أشار إلى فلسطين (زيون) بقوله :

" هذه أرض آباءنا تصرخ عالياً لشعب كي يعمل فيها، وبين إخوتنا بروليتاريا مخيفة، بحاجة إلى أرض لاستغلالها" (٣٣) وبعبارة أخرى إنها أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، وهو يريد الجمع بينهما. شكر القيصر هرتزل على اتصاله به، وإثارة اهتمامه، ولكن المسألة تحتاج إلى دراسة تامة ومطلوبة، ويبدو أن هذا الكلام لم يعجب هرتزل فعلق عليه بقوله: " لم يقل نعم، ولا قال لا، يبدو أن أموراً كثيرة تحدث خلف الستار" (٣٤).

يكشف تعليق هرتزل هذا عن أمور ليست لصالح الحركة الصهيونية واجهها القيصر الألماني في حديثه مع السلطان. فقد احتج وزير الخارجية العثماني أحمد توفيق على وجود هرتزل مع حاشية القيصر قائلاً: " لا علاقة للسلطان بالصهيونية، وليس لنا أي اهتمام بإنشاء دولة يهودية في فلسطين". هذا الاحتجاج كان له أثره على موقف القيصر لكي يفقد ما لديه من آمال لمساعدة اليهود، ويشير فريدمان إلى أن وزير الخارجية الألماني بولوف حذر القيصر من إظهار التأييد والحماس للمشروع الصهيوني، لأنه لا يلقى قبولا لدى العثمانيين، كما أنه قد يثير شكوكاً في باريس ولندن، وبطرسبورج (لينينغراد) (٣٥).

وعلى الرغم من هذا الفشل، والخيبة اللتان مني بهما هرتزل، إلا أنه ظل يعقد الأمل على إمكانية نجاح الوساطة الألمانية لدى السلطان العثماني بدليل أنه رفض ما عرضه عليه محمد نوري (على هامش مؤتمر السلام في لاهاي، حزيران ١٨٩٩) فقد قال له محمد نوري: " خذ حلب، اشتر أراضي حول بيروت، ستأتي أيام صعبة، عندها تقدم نفسك وتطلب فلسطين". فرد هرتزل على ذلك بقوله: "لا أستطيع أن أفعل ذلك، فمن أجل مؤيدينا لا أطلب إلا فلسطين، وأضاف: الأمر ممكن في القسطنطينية عن طريق قيصر ألمانيا" (٣٦).

هذه هي المرة الأولى التي يعرض فيها أحد المسؤولين الأتراك أماكن بديلة، ومؤقتة لفلسطين، ولكن هرتزل رفضها. أولاً لأنه متمسك بفلسطين، وثانياً لأنه كان يأمل بالحصول على مباركة الدولة العثمانية، من خلال الوساطة الألمانية، بالرغم مما لقيه من فشل في زيارتيه السابقتين إلى استانبول.

في ١٦ حزيران ١٩٠٠ التقى هرتزل مع أرمينيوس فاميري Arminius Vambery في موهلباخ "Muhlbach" في المجر بترتيب من القس هشلر (٣٧).

أثار هرتزل لدى فاميري المشاعر اليهودية قائلاً: "أنت وأنا ننتمي إلى عرق قادر على عمل كل شيء إلا الفشل، ومهمتك الحقيقية هي مساعدة شعبك" (٣٨)، تكشف هذه العبارة أمرين، أولهما أن اليهود عرق وجنس، وثانياً: غرور هرتزل واعتقاده بأن هذا العرق قادر على فعل كل شيء.

لم تكن مهمة فاميري هذه سهلة، فقد أمضى (فاميري) قرابة العام حتى نجح في إقناع السلطان لاستقبال هرتزل في استانبول كزعيم يهودي، وكاتب صحفي نافذ، وليس كصهيوني، فالصهيونية ممقوتة لدى السلطان، والقدس عندهم (الأتراك) كمكة. وتحددت المقابلة يوم ١٨/٥/١٩٠١ (٣٩).

عرض هرتزل خلال المقابلة التي استمرت ساعتين خطته لتسوية الدين العثماني مقابل إصدار السلطان فرماناً أو براءة لصالح اليهود تمنحهم الحماية والاستيطان في أملاك الدولة العثمانية، على أن يتم هذا من قبل السلطان مباشرة، وبصورة علنية، وليس من خلال كبير حاخامات اليهود في استانبول (موسي ليفي) Moses Levi، ولكن السلطان لم يلتزم بشيء، ولم تتضمن محادثات هرتزل اللاحقة مع المسؤولين العثمانيين شيئاً من ذلك، فقد اشترطت هجرة اليهود إلى أماكن متفرقة في الدولة العثمانية، ليس بينها فلسطين مع خضوع اليهود للأنظمة والقوانين العثمانية بما في ذلك الخدمة العسكرية (٤٠).

ولم يحضر فاميري المقابلة، بل لقد طلب منه مغادرة استانبول، الأمر الذي يشير إلى أن السلطان كان يشك فيه. وينفي فاميري هذه التهمة فقد أوضح في مقال نشره بعد خلع السلطان ١٩٠٩: "أن السلطان كان معجباً باليهود، وأمر إدارته في سورية بتسهيل الهجرة والإستيطان اليهودي في فلسطين كعنصر توازن ضد النفوذ المسيحي المتزايد في المنطقة" (٤١).

ولكنني أشك في هذا القول لأن الدولة العثمانية فرضت في ٢١/١١/١٩٠٠ قيوداً على هجرة وزيرلة اليهود إلى فلسطين (٤٢). بحيث يمكن القول إن مقابلة السلطان لهرتزل ربما كانت بهدف تخفيف أثر هذه القيود أمام الرأي العام الأوروبي.

هذه هي المقابلة الأولى والوحيدة التي تمت بين السلطان وهرتزل. ولكنه زار استانبول مرتين بعدها. فقد زارها للمرة الرابعة في شباط ١٩٠٢ بدعوى من إبراهيم بك أحد مستشاري السلطان. وأجرى خلالها محادثات مع عزت بك وإبراهيم بك. ولم تتبدل المقترحات فيما يتعلق بهجرة اليهود غير المقيّدة، وبشكل مجموعات صغيرة للاستيطان في جميع أنحاء الامبراطورية باستثناء فلسطين. على أن يكونوا مواطنين عثمانيين. ومع أن هرتزل لم يرفض هذه الاقتراحات، لكنه فشل في تعديلها (٤٣).

وقد كشف هرتزل (عما عرض عليه من اقتراحات) في خطابه أمام مديري صندوق الاستعمار اليهودي في لندن، ١٧/٣/١٩٠٢، فقال إن السلطان اقترح عليه الاستيطان في بلاد ما بين النهرين

(العراق). ومع أنه رفض هذا العرض وقتذاك إلا أنه الآن يقبل به، بحجة الحصول على أرض صلبة، ولا استمرار العلاقات مع تركيا. ولكنه لا يبحثهم على قبول اقتراحاته التي يبدو عليها (ولأول وهلة) : "انحراف عن هدفنا، لكن في الواقع نقترّب منه بهذه الطريقة، مع أنهما طريقة مداورة" ^(٤٤) .

هذه هي المرة الثانية التي يعرض فيها المسؤولين العثمانيون أماكن بديلة لفلسطين. المرة الأولى جاءت من قبل نوري بك عام ١٨٩٩ (كما أسلفنا الإشارة) وقد رفضها هرتزل. وهذه المرة جاءت من قبل السلطان، على لسان مستشاريه، لأنه لم يقابل السلطان خلال هذه الزيارة. ومع أنه رفضها إلا أنه راغب الآن بقبولها كي يبقى باب الاتصال مفتوحاً مع العثمانيين من جهة، ولكي تكون قاعدة صلبة يمكن الوثوب منها إلى فلسطين، أو كما قال نقترّب بهذه الطريقة من هدفنا ولو بطريقة مداورة من جهة أخرى. وسوف يكرر هذا الطلب في مناسبات عديدة.

أما الزيارة الخامسة والأخيرة التي قام بها إلى استانبول فكانت في تموز ١٩٠٢. فقد وصلته أكثر من برقية من السلطان (كما يقول) تدعوه لزيارة تركيا. فغادر النمسا في (١٩٠٢/٧/٢٢) إلى استانبول التي وصلها يوم ١٩٠٢/٧/٢٥، حيث قدم مذكرة طعن فيها بالمشروع الفرنسي لتسوية مسألة الدين العثماني، ووعد بتقديم عرض بديل ^(٤٥) قائلاً: " وفي مقابل هذا تمنحنا حكومة الامبراطورية (العثمانية) امتيازاً رسمياً لاستعمار يهودي في العراق، كما عرضتم في شباط، يزداد عليها حيفاً وضواحيها في فلسطين، وسوف يجذب هذا الاستعمار إلى تركيا المواهب، والأموال، والصناعة ^(٤٦) (اليهودية طبعاً) .

وخلال مقابلاته للصدر الأعظم محمد سعيد باشا (١٩٠٢/٧/٣١) أشار إلى مساعيه لدى إنجلترا التي عرضت عليهم الاستعمار في شرقي أفريقيا. ولكنه يفضل المساحة القليلة الغالية في فلسطين، " فإنها رمز، فقلوب شعبنا معلقة بها، هذا أمر عاطفي تستطيع تركيا أن تستفيد منه كثيراً" ^(٤٧) . فهدفه كما هو واضح فلسطين، وليس أي مكان آخر .

فإشارته إلى الاتصال مع بريطانيا، وعرضها منحهم أرضاً في أفريقيا باعتقادي كان استفزازاً لتركيا، بدليل أنه كرر ذكره لإبراهيم باشا سكرتير السلطان الذي جاء لتوديعه، فقد علق هرتزل على ذلك بقوله: " أعتقد أنه إذا عرف السلطان بنجاح مشروع الاستعمار في أفريقيا فإنه لا بد أن يميل إلى مساعدتنا" ^(٤٨) . ومع أنه كان خلال هذه الزيارة أكثر تواضعاً في طلباته. فقد وافق على توطين اليهود في العراق، علاوة على سنحج عكا، من نهر اللطاني شمالاً حتى جبل الكرمل جنوباً والبحر الميت شرقاً. ولكنه فشل في الحصول على ذلك، فقد أبلغه إبراهيم باشا بأن رد السلطان النهائي هو الاستيطان في أنحاء متفرقة في الدولة العثمانية مع الجنسية العثمانية، فغادر استانبول خائباً في ١٩٠٢/٨/٢، وتوضح خيبة أمله هذه من

وصفه للسلطان ورجال حكومته بـ: "جب القنلة، وبلاد اللصوص، جب علي بابا والأربعين حرامي" وعزى فشله إلى تمسكه ببرنامجه بال^(٤٩).

في حزيران ١٩٠٣ كتب إلى عزت باشا العابد، الذي أصبح وزيراً نافذاً يذكره بوعده السلطان في بلاد ما بين النهرين، وسنحق عكا الذي طالب به في زيارته الأخيرة (تموز ١٩٠٢)، و "إلا وجدنا أنفسنا مرغمين في العثور على بلاد أخرى وسوف لا نعدم الفرص لايجادها"^(٥٠).

هرتزل والأماكن البديلة لفلسطين:

لم تقتصر جهود هرتزل على السعي للحصول على وثيقة (فرمان)، أو حتى تصريح عثماني يسمح، ويبارك لليهود بالهجرة، والاستيطان في فلسطين، وذلك من خلال زيارته إلى استانبول، وتوسيطه القيصر الألماني.

فقد قرن ذلك بأمرين وهما: السعي لتحديد روسيا أو الحصول على موافقتها لإظهارها، معظّم الدول التي تعطف على توطين اليهود في فلسطين، أو لا تعارض في ذلك. فيطمئن السلطان العثماني من جهة، ويشعر يهود روسيا بأن هجرهم إلى فلسطين محل رعاية الحكومة الروسية من جهة ثانية^(٥١). ولقد بذل مساعي حثيثة لمقابلة قيصر روسيا خلال عام ١٨٩٩ من خلال القيصر الألماني، والبارونة النمساوية بيرتا فون سوتنر (Berthan Von Suetner السكرتيرة السابقة لـ ألفريد نوبل) "Alfred Nobel"^(٥٢) ومن خلال دوق بادن وهس الألمانين، ولكن مساعيه فشلت. هذا أولاً.

وثانياً فقد فكر في أماكن بديلة لفلسطين لتهجير اليهود إليها، وإقامة دولتهم فيها ولكن ليس كهدف نهائي، وإنما كهدف مرحلي يمكن استبدالها بفلسطين، أو الانطلاق منها إلى فلسطين. فما هي تلك الأماكن البديلة التي فكر فيها؟ وما هي ردود فعل الجماعات اليهودية والمنظمة الصهيونية تجاهها؟ سوف أقصر كلامي على ثلاثة أماكن بديلة لفلسطين اثنان فكر فيهما هرتزل وواحد عرض عليه. وهذه الأماكن الثلاث هي: قبرص والعريش وأوغندا.

١ - قبرص

إن أول الأماكن التي فكر فيها هرتزل بعد صدور كتابه الدولة اليهودية ومناسبة زيارته الأولى لاستانبول ١٨٩٦ كانت جزيرة قبرص. فعلى هامش محادثاته مع عزت بك، قال له عزت: "ليشتر اليهود أي مقاطعة أخرى، ويقدمونها لتركيّا كبديل لفلسطين مع مزيد من الأموال". تعليقاً على هذه النصيحة كتب هرتزل في يومياته (١٨٩٦/٦/١٩). "فكرت رأساً بقبرص، إن فكرة عزت جيّدة، وتبين أن الرجل يفكر بنا ومن أجلنا"^(٥٣).

ولا أعتقد أن عزت بك طرح مثل هذه الفكرة على هرتزل، وهي استبدال فلسطين بأي مقاطعة أخرى يمتلكها اليهود طالما أن القدس في نظر الأتراك كمكة كما قال فاميري (وكما ذكرنا سابقاً). وقبل المؤتمر الصهيوني الثاني (آب ١٨٩٨) كتب في يومياته (١٨٩٨/٧/١) يقول: " إني أفكر في إعطاء الحركة هدفاً إقليمياً أضيق، وأترك صهيون ليكون الهدف النهائي ". وأضاف " ربما استطعنا أن نطالب انكلترا بقبرص، ونفكر في جنوب أفريقيا وأمريكا، حتى نتحلل تركيا" (٥٤) .

وفي المؤتمر الصهيوني الثالث (١٨-١٥/آب/١٨٩٩) طرح اقتراح استعمار قبرص من قبل أحد اليهود الألمان ديفز تريتش (Davis Trietsch) وقوطع خطابه مراراً لدرجة أن الغالبية في المؤتمر صوتت ضده. ولم يعلق هرتزل علانية على هذا الاقتراح ولكنه كتب في يومياته عن اقتراح ديفز يقول .
" إنه مشروع معقول جداً، مع أي يجب أن لا أصرح بحماس له مراعاة لجمعية أجباء صهيون" (٥٥) ،
فهل تعليقه هذا يختلف عن تعليقه على نصيحة عزت بك؟ حيث رحب بفكرة الهجرة والاستيطان في قبرص. وطالما أن تفكيره بقبرص كان منذ عام ١٨٩٦، أي قبل اقتراح ديفز. فهل يمكن القول إن اقتراح ديفز كان بترتيب مسبق مع هرتزل بهدف الضغط على الدولة العثمانية لتلبية طلباته؟ سؤال تصعب الإجابة عليه.

وبعد المؤتمر الصهيوني الثالث عاد هرتزل إلى الاهتمام بجزيرة قبرص كخطوة في الطريق إلى فلسطين. فكتب إلى نوري بك (٥٦) يقول: " منذ المؤتمر الأخير في بال (آب ١٨٩٩)، أخذت الحركة تميل نحو قبرص، بعد أن رأوا أن الحكومة التركية غير ميالة نحو الوصول إلى تفاهم معنا. يريدون أن يتجهوا نحو الجزيرة التي تسيطر عليها بريطانيا، والتي يسهل علينا دائماً الوصول إليها".

وأضاف: " حتى المؤتمر القادم (الرابع) إذا لم يكن لدي ما أطلعهم عليه آنذاك ستسقط آمالنا في الميلاء - مياه قبرص، إذا لم أحرز تقدماً في علاقتي مع الحكومة التركية قبل المؤتمر الرابع (١٩٠٠) ساعد مشروع قبرص بشكل سريع، وأذهب إلى لندن وأكلم سلسيري (Salisbury) رئيس وزراء بريطانيا" (٥٧) . وبالفعل عقد المؤتمر الرابع في لندن (١٣-١٦/آب/١٩٠٠)، ولقي ترحاباً كبيراً من الدوائر البريطانية، ولكن سلسيري لم يقابل هرتزل (٥٨) وإذا كان عقد المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن في ظاهره محاولة استفزازية للدولة العثمانية حول جدية الصهيونية في البحث عن مكان بديل لفلسطين، ومن ثم لا حاجة لمواصلة التفاوض مع العثمانيين. إلا أن يومياته تكشف لنا أنه كان يفكر في فلسطين والدليل على ذلك اعترافه في (١٩٠٠/١٠/٥) أي بعد عقد المؤتمر بشهر ونصف، بأنه ارتكب أعظم أخطائه في عدم " انتظار القيصر الألماني على عتبة مدينتنا القدس وأن أحبيه هناك باعتباري رئيس اليهود كلهم" (٥٩) .

وبمناسبة ما أشيع حول تبادل الأراضي بين ألمانيا وانكلترا بحيث تأخذ ألمانيا قبرص، مقابل أخذ انكلترا أفريقيا الشرقية الألمانية. في هذه الحالة سوف ترحب ألمانيا في استقرار اليهود في قبرص تعليقاً على ذلك كتب في مجلة الخدمات الموحدة في ١٩٠١/٤ يقول: " سوف نجتمع في قبرص، ونذهب منها يوماً إلى أرض إسرائيل، ونأخذها بالقوة مثلما أخذت منا من مدة بعيدة. وإذا بقيت مع بريطانيا أستطيع أن أبحث الموضوع مع سلسري، وفي حالة فشل الاتصالات مع تركيا سوف أقدم مشروعاً قبرصياً إلى المؤتمر القادم (الخامس) وفي ذلك يقول:

" أخذت أفكر بخطابي عن مشروع قبرص في المؤتمر الخامس، وإنه مزج بين تحطم آملنا في فلسطين، ومساعدة الفقراء، وسأعلن أيضاً للمؤتمر الخامس أن قبرص مجرد خطوة على الطريق إلى فلسطين" (٦٠).

ثم توقف عن الحديث عن قبرص بمناسبة اتصالاته مع فاميري الذي هبأ له مقابلة السلطان (أيار/ ١٩٠١) فقد كان يأمل بإمكانية الحصول على فرمان قبل المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١/١٢/٢٠) (٦١) ولم يعد للحديث عن قبرص إلا في حزيران ١٩٠٢ بمناسبة زيارته إلى لندن. إذ التقى مع اللورد روتشيلد Lord Rothschild الذي أبدى استعداداً للتوسط لدى الحكومة البريطانية لمنح اليهود حق الاستيطان في إحدى الممتلكات البريطانية كأوغندا، ولكن هرتزل رفض أوغندا، واقترح إما قبرص، وإما سيناء وقد وافقه روتشيلد على هذا الاقتراح (٦٢).

وبسبب فشل زيارته الأخيرة إلى استانبول تموز/ ١٩٠٢ كتب إلى وكيله فيها إدوارد كرسبي (Edward Grespi) في ١٩٠٢/٨/٢٣ يخبره أنه سيحاول الحصول على إحدى المقاطعات اللازمة لاستيطان اليهود في إحدى الممتلكات البريطانية، وفي ١٩٠٢/٩/٢٢، كتب إلى وكيله في لندن جرينبرج Greenberg أن ينقل رغبته إلى جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain وزير المستعمرات البريطاني حول توطين اليهود في إحدى المستعمرات البريطانية (٦٣).

فهرتزل كما هو واضح توقف عن الحديث عن مشروع قبرص قرابة العام أي ما بين مقابله للسلطان أيار/ ١٩٠١، وحتى زيارته إلى لندن حزيران ١٩٠٢، ثم عاود الحديث عن المشروع بعد فشل زيارته الأخيرة لإستانبول تموز/ ١٩٠٢.

قابل هرتزل تشمبرلين في ١٩٠٢/١٠/٢٢، (وكان لورد روتشيلد قد حذره من ذكر كلمة ميثاق أمام تشمبرلين، لأنها كلمة مكروهة هنا)، وفتح باستيطان اليهود في قبرص أو سيناء. رد تشمبرلين أنه يستطيع الحديث عن قبرص، أما سيناء فهي من اختصاص وزارة الخارجية. وبالنسبة لقبرص فقد اعتذر تشمبرلين عن إمكانية استيطان اليهود فيها . بحجة أنها مأهولة من قبل اليونانيين، والمسلمين (الأتراك).

ولا يمكن إخراجهم من أجل مهاجرين جدد. فواجهه (تشميرلين) يقتضي أن يحميهم والوقوف إلى جانبهم وأنه لا يكره اليهود، والصهيونية تروق له (٦٤) .

وأضاف: " في بلادنا لا نستطيع أن نخفي أي أمر، وإذا بحثنا قضية قبرص بهذه الطريقة العلنية، فإن ثورة ستقوم سريعاً". اقترح هرتزل إقناع القبارصة عن طريق عدد من العملاء قائلاً: " إن تأسيس الشركة اليهودية الشرقية برأسمال قدره خمسة ملايين جنيه للاستيطان في سيناء، أو العريش سوف يحمل القبارصة على جني هذه الأمطار الذهبية على جزيرتهم. سيرحل المسلمون، وسينتقل اليونانيون عن طيب خاطر إلى أثينا وكريت بعد أن يبيعوا أراضيهم بأسعار جيدة [إنه يريد إغراء القبارصة بالمال وترحيلهم مسلمين (أتراك) ويونانيين] ". ولم يناقش تشميرلين الاقتراح، وانتقل إلى الحديث عن سيناء والعريش. وهما من اختصاص وزارة الخارجية الأمر الذي يستدعي استشارة اللورد كرومر (Cromer) القنصل البريطاني في مصر (٦٥) .

هكذا طويت صفحة الحديث عن قبرص بعد هذه المقابلة التي أجراها هرتزل مع تشميرلين وبدأ الحديث عن مشروع سيناء أو العريش .

٢ - مشروع العريش (سيناء)

طرح هرتزل مشروع الاستيطان في سيناء (العريش) أثناء لقائه مع اللورد روتشيلد في لندن حزيران ١٩٠٢ . وأثناء لقاء هرتزل مع تشميرلين ٢٢/١٠/١٩٠٢، قال هرتزل، إنه يريد الذهاب إلى مصر، للوصول منها إلى فلسطين بدليل قوله :

" سوف أحمل الأتراك على الاتفاق معي إذا ما تعرضت إلى وادي النيل. لأني عندها سوف أحصل على حيفا بثمن أرخص " فرد تشميرلين بقوله : " سوف تجابه في مصر الصعوبات نفسها مع السكان الحاليين". فقال هرتزل: " لا، سنذهب إلى مصر، لقد كنا فيها من قبل . فهناك أراضٍ واسعة في العريش وسيناء تستطيع بريطانيا أن تعطينا إياها، ويكون لها بدل ذلك زيادة قوتها وولاء عشرة ملايين يهودي". وسأل هرتزل تشميرلين: " هل تقبل بأن نقيم مستعمرة يهودية في سيناء ". أجاب تشميرلين: " نعم إذا رضي اللورد كرومر" (٦٦)

فشميرلين لا يعارض فكرة إقامة مستعمرة يهودية مستقلة في الجانب الجنوبي الشرقي من البحر المتوسط وهي منطقة قريبة من فلسطين. أي أن عيون هرتزل شاخصة إلى العريش وسيناء ولكن قلبه مرتبط بفلسطين.

وبترتيب من تشمبرلين التقى هرتزل مع وزير الخارجية البريطاني اللورد لانسدون Lansdowne يوم ١٩٠٢/١٠/٢٣، إذ فاتحه في موضوع هجرة اليهود إلى العريش فطلب منه تقديم مذكرة حول الموضوع وقد أعدها وقدمها في اليوم التالي (١٩٠٢/١٠/٢٤)، وتدور حول استيطان اليهود في المنطقة الساحلية المؤلفة من العريش، وشبه جزيرة سيناء، في مقابل موالاة عشرة ملايين يهودي لبريطانيا، إن لم يكن علناً فسرّاً، أي تجنيد عشرة ملايين عميل يهودي لخدمة المصالح البريطانية سياسياً واقتصادياً، ورحب لانسدون بالمشروع شريطة موافقة اللورد كرومر^(٦٧).

وفي اليوم التالي ١٩٠٢/١٠/٢٥، أهدى هرتزل السلطان العثماني روايته الجديدة وهي بعنوان : البلاد القديمة الجديدة، وهي رواية خيالية حول مستقبل فلسطين في ظل الاستعمار اليهودي. وأبلغه أنه يعمل على تحقيق مشروعه في بلاد أخرى^(٦٨).

الذي يعني من هذا العمل أن الأماكن البديلة لفلسطين التي كان هرتزل يسعى للفوز بها، هي أماكن مؤقتة، وليست بدائل نهائية لفلسطين من ناحية. كما أنها وسيلة للضغط على الدولة العثمانية لإعادة فتح باب المحادثات معها لقبول المطالب الصهيونية بالهجرة إلى فلسطين.

أرسل هرتزل جرينبرج إلى القاهرة ومعه كتاب توصية من لانسدون إلى كرومر وبعد أن قابل اللورد كرومر، ورئيس وزراء مصر، مصطفى فهمي، وبعض المسؤولين أبرق إلى هرتزل يقول: كل شيء على ما يرام، وعاد إلى لندن ونصح هرتزل بعدم السفر إلى القاهرة وأن ينتظر استدعاء لانسدون له للتوقيع على اتفاقية أولية بشأن المشروع^(٦٩).

أبلغ لانسدون هرتزل (١٩٠٢/١٢/٢١) أن المشروع (كما يقول كرومر) محتمل التحقيق إذا كانت الظروف الراهنة تسمح بذلك. وجاء هرتزل إلى لندن في كانون الثاني ١٩٠٣، وقابل السر توماس ساندرسون Thomas Sanderson وكيل وزارة الخارجية، فقد اعتذر لانسدون عن استقباله، وتردد في الموافقة على ميثاق بالاستيطان اليهودي باسم الحكومة البريطانية، وإنما يكون الميثاق مع الحكومة المصرية. شكل هرتزل لجنة فنية لدراسة جدوى المشروع. وسافرت إلى مصر في ١٩٠٣/١/٢٠ ورافقها جولد سمد الذي تعهد باستمالة يهود مصر. والغريب أنه (هرتزل) في غمرة هذا العمل عاود الحديث عن قبرص وفلسطين. فقد أسر إلى رئيس اللجنة المهندس ليوبولد كسلر Leopold Kessler أنه يرغب في الحصول على قبرص وحيفا ومينائها، وأنه ينوي بدء الاستعمار في أفضل الأراضي^(٧٠).

لم يكتف بذلك، ففي الوقت الذي وصلت فيه اللجنة إلى مصر (١٩٠٣/٢/٣)، بعث في يومي (١١، ١٥/٢/١٩٠٣) خمسة رسائل إلى المسؤولين الأتراك بما فيهم السلطان والصدر الأعظم

وإبراهيم باشا وعزت باشا وتحسين باشا يقترح عليهم استعمار منطقة الجليل، وسنحق عكا، مقابل محبة يهود العالم للأتراك، مع تقديم مبلغ ١٠٠ ألف ليرة عثمانية سنوية، كضمان للحصول على قرض. يملكون جنيه استرليني^(٧١).

واضح تماماً أن مشروع العريش كان وسيلة للضغط على الدولة العثمانية أكثر منه مشروع بديل لفلسطين. فهو يهدد بتدفع السلطان ثمناً غالياً للقبول بالمواطنة العثمانية (تحت الحماية البريطانية) وأضاف: سأطلب مقابل ذلك قطعة من فلسطين^(٧٢) . وقد رحبت الحركة الصهيونية بحماس بالمشروع لأن العريش تشكل الجزء الجنوبي من فلسطين، وسوف تكون البوابة الجنوبية لكل فلسطين^(٧٣) . كانت مهمة اللجنة التي أرسلت إلى مصر كما حددها هرتزل لرئيسها كسلر، دراسة إمكانية الإستيطان في القسم الشمالي من سيناء، وإمكانات استعمار الأرياف والمدن الواقعة على البحر المتوسط بين قناة السويس والحدود التركية في المنطقة الساحلية^(٧٤) .

في ١٩٠٣/٣/٢ أبلغ جرينبرج هرتزل أن المحادثات في مصر ليست سارة، ومع هذا طلب هرتزل من كسلر، وجولد سمد مواصلة، بل إنه قام بزيارة إلى مصر (١٩٠٣/٤/٤-٣/٢٣) التقى خلالها مع النورد كرومر، وبطرس غالي (وزير خارجية مصر) ولكنه لم يحصل على أي نتيجة، وغادر مصر تاركاً لجولد سمد متابعة المهمة التي فشل في أدائها. فقد خف حماس كرومر للموضوع، بل إنه رفض مقابلة هرتزل قبل مغادرته لمصر، وبعث له رسالة جافة طالب فيها تعديل كثير مما ورد في مسودة اتفاقية تنفيذ المشروع التي أعدها هرتزل^(٧٥) .

نسب تقرير اللجنة الأولي في ١٩٠٣/٥/١٢ فشل المشروع إلى الظروف المناخية غير المناسبة لسكنى الأوروبيين حول العريش، زيادة على قلة الماء ومعارضة الخديوي والحكومة المصرية في إيصال مياه النيل إلى المنطقة المطلوبة. وأضيف إلى هذه الأسباب أسباب أخرى في التقرير النهائي (١٩٠٣/٦/١٩)، وهي أن الإدارة في مصر تواجه مشكلات عدة، ويبدو من غير المناسب إضافة مشكلات جديدة لها. وكانت هناك مشكلة قانونية حول مدى صلاحيات الخديوي (عباس حلمي الثاني) في إصدار قرار بمنح اليهود إقامة مستعمرة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي بدون الرجوع إلى حكومة السلطان العثماني^(٧٦) .

ويضيف هيكل أسباباً أخرى وهي خشية كرومر تأثر زراعة القطن المصري على مصانع لانكشاير البريطانية زيادة على خلافه المستمر مع الخديوي وتوقعه قيام حرب تصبح الأماكن المأهولة في سيناء مهددة لمصر. كما أن المشروع قد يؤدي إلى استفزاز المشاعر الوطنية والدينية، وبخاصة أن جريدة المنار أخذت تنشر أخباراً وتعليقات تحذر من مطامع اليهود في فلسطين. أما وايزمن فنسب فشل المشروع إلى توسيعه بحيث شمل صحراء سيناء وكان يمكن أن ينجح لو اقتصر فقط على منطقة العريش^(٧٧).

٣ - مشروع شرقي أفريقيا (كينيا أوغندا)

عرض مشروع الاستيطان اليهودي في أوغندا لأول مرة من قبل لورد روتشيلد خلال لقائه مع هرتزل حزيران ١٩٠٢، ولكن هرتزل رفضه، وفضل عليه قبرص وسيناء، كما أسلفنا الإشارة، وعلى أثر عودة هرتزل من رحلته الفاشلة إلى مصر، قابل يوم ٢٣/٤/١٩٠٣ تشميرلين الذي عرض عليه استيطان اليهود لشرقي أفريقيا البريطانية، التي عاد مؤخراً من زيارتها واعتقد أنها تصلح لاستيطان اليهود. وأضاف: "ولكنك تريد أن تذهب إلى فلسطين وما يجاورها". فرد هرتزل نعم. "يجب أن تكون قاعدتنا فلسطين ثم نستطيع فيما بعد أن نستوطن أوغندا، يجب أولاً أن أضع أساساً قومياً، ولهذا فكرت في العريش لوضع سياسة جذابة" ^(٧٨) (بمعنى أنها قريبة من فلسطين).

لقد تردد هرتزل في قبول ما عرضه عليه تشميرلين أملاً في أن يحدث تغيير في مشروع العريش (سيما وأن تقرير اللجنة الفنية النهائي لم يصل بعد) هذا أولاً، وحدث تحول في الموقف العثماني ثانياً. ولكن أخبار مذبحه كيشينيف "Kishinev" وغيرها من المدن الروسية (٦-٨) نيسان ١٩٠٣ ^(٧٩)، أحدثت تغييراً في موقف هرتزل. صحيح أن منطقة شرقي أفريقيا، التي أطلق عليها أوغندا، لا تماثل منطقة سيناء خاصة بالنسبة لموقعها من فلسطين، إلا أن العرض كان جذاباً، فطبقاً لمخاضات جرينبرج مع تشميرلين (٢٠/٥/١٩٠٣) التي أبلغها لهرتزل (٢٣/٥/١٩٠٣)، فإن الخطة تتضمن منح اليهود مساحة كافية لتسع للمليون شخص، مع حكم ذاتي تحت الحكم البريطاني. وقد قبل هرتزل الفكرة وطلب من جرينبرج مواصلة البحث مع تشميرلين لمعرفة مضمون اقتراحه وأبعاده. في ضوء المشروع الصهيوني، وفي ١٣/٥/١٩٠٣ وافق هرتزل على مشروع اتفاق مع الحكومة البريطانية أعده جرينبرج بناء على تعليمات هرتزل ^(٨٠).

وفي الوقت الذي كان فيه وكيله في لندن جرينبرج يتباحث مع تشميرلين كان هرتزل يفكر في فلسطين، فقد اتصل مع عزت باشا في ١٩٠٣/٦/٤ وسأله، هل اقتراح السلطان حول الاستيطان اليهودي في بلاد ما بين النهرين وسنحى عكا لا يزال قائماً، ففي حالة فقد الأمل بالاتفاق مع الحكومة التركية سيضطر إلى البحث عن مقاطعة أخرى ^(٨١). كم مرة كرر هرتزل هذا الكلام؟

ولم يكتف بذلك (ففي ١٩٠٣/٦/٨) فكر بموزمبيق البرتغالية لمبادلتها مع بريطانيا بشبه جزيرة سيناء، ومياه النيل صيفاً وشتاءً، وربما قبرص أيضاً، ودون أي ثمن.

ويضيف قوله: "إننا نستطيع أن نطالب بفلسطين بصورة أقوى إذا كان لنا مكان تجمع ضمن القوانين العامة" ^(٨٢)، وأنا لأستغرب كيف يفكر بموزمبيق لمبادلتها مع سيناء ويتردد في قبول أوغندا وهي

أقرب من موزمبيق. إلا أنه تخلى عن المشروع بسبب عدم موافقة لجنة العمل عليه من ناحية، ولإبقاء علاقته مع تشميرلين من ناحية ثانية.

ومع ذلك، فإنه فكر في مقاطعة الكونغو في الوقت الذي كان فيه يفكر في فلسطين، وذلك من خلال المصري اليهودي البلجيكي فيليبسون "Philippson" (١٩٠٣/٧/١٢)، وفي ذلك يقول: "فمع إقائنا على مشروع فلسطين الذي لا نستطيع أن نحققه بسرعة على أسس قومية، يجب أن نعمل على خلق مكان نلتجئ إليه ضمن القانون العام، والمكان هو ولاية الكونغو"، وقد تحفظ فيليبسون على المشروع، ثم رفضه في ١٩٠٣/٧/٢١^(٨٣).

في ١٩٠٣/٧/٢٣ وصلته رسالة من صديقتها الكاتبة البولندية المتعاطفة مع الصهيونية بولينا كورفين بياتروفسكا Paulina Korvin Piotrovska وصديقة فون بوليفيه Von Plehve (وزير الداخلية الروسي) تخبره عن استعدادها لاستقباله، فتوجه إلى بطرسبورج (Petersburg) (٧-١٧) أب، إذ قابل بوليفيه يوم ١٩٠٣/٨/٨ وهدفه إقناع السلطات الروسية لتخفيف إجراءاتها القمعية ضد اليهود، في مقابل وقف نشاطات الجماعات الصهيونية المعادية للسلطات الروسية من جهة، ولبذل روسيا مساعيها لدى الدولة العثمانية للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين من جهة ثانية، وقد وعده بوليفيه بأن تبذل الحكومة الروسية مساعيها لدى الدولة العثمانية لهذا الغرض^(٨٤).

وفي ١٩٠٣/٨/١٣ أبلغ بوليفيه هرتزل أن القيصر الروسي يوافق على تأسيس دولة يهودية في فلسطين من اليهود الفقراء ذوي العقول الضعيفة، أما اليهود الأذكاء فسوف يبقون. فطلب وساطة القيصر لدى السلطان العثماني، فأجابه أن الحكومة العثمانية ستلي ما يطلبه القيصر ولكن مدير الدائرة الآسيوية في وزارة الخارجية الروسية أبلغه أن علاقات روسيا ليست جيدة مع تركيا^(٨٥).

وردا على ما تعرض له هرتزل من نقد لاجتماعه، ومباحثاته مع بوليفيه جزار مذبحه كيشينيف، قال

هرتزل: ألم يذهب موسى إلى فرعون؟^(٨٦) Did not Moses go to Pharaoh ?

في فلنا (Vilna) وهو في طريق عودته إلى فيينا تلقى من جرينيرج رسالة في ١٩٠٣/٨/١٦ تفيد أن وكيل وزارة الخارجية البريطاني السر كليمنت هل Sir Klement Hill بعث في ١٩٠٣/٨/١٤ برسالة يعرض فيها مقاطعة شرقي أفريقيا البريطانية (كينيا) مستوطنة يهودية، يحكمها اليهود حكما ذاتيا^(٨٧). جاءت هذه الرسالة تنويفا للجهود التي بذلها جرينيرج لدى تشميرلين الذي أحال الموضوع إلى وزارة الخارجية، لأن شرقي أفريقيا محمية، وليست مستعمرة ومع أن لانسدون (وزير الخارجية) لم يكن متعاطفا مع المشروع الصهيوني إلا أنه وافق على تزويد جرينيرج بالرسالة أعلاه لتقدمها إلى المؤتمر الصهيوني السادس، وأخذت صيغة اتفاق بين الحكومة البريطانية وصندوق الاستثمار اليهودي، لإنشاء

مستوطنة يهودية في شرقي أفريقيا لتحسين وضع اليهود. وتضمن الاتفاق إنشاء مستوطنة يهودية يمارس مواطنوها عاداتهم القومية مع تعيين رئيس يهودي للإدارة المحلية وحرية التشريع للإدارة المدنية والشئون المحلية، أي حكماً ذاتياً تحت الحماية البريطانية^(٨٨).

المؤتمر الصهيوني السادس ومشروع شرقي أفريقيا ٢٣-٢٨/آب/١٩٠٣

قدم هرتزل يوم ٢١/آب/١٩٠٣ تقريراً للجنة العمل الكبرى في الحركة الصهيونية عما حققه في رحلته إلى روسيا من ناحية، وعن العرض الذي تلقاه من الحكومة البريطانية من ناحية ثانية. وفي يوم الأحد ٢٣/آب/١٩٠٣ أطلع هرتزل جماعة صغيرة من القادة على الوثيقة البريطانية. ويدعي هرتزل أن لجنة العمل الكبرى حولته إدراج العرض البريطاني على جدول أعمال المؤتمر^(٨٩).

وقال ممثل كيشينيف في اللجنة: "إن هرتزل يبيع أرض أجدادنا من أجل أفريقيا، وأضاف: "في رأينا أن اليهود سيفضلون الذهاب إلى الجحيم للهرب من روسيا على الذهاب إلى أفريقيا"^(٩٠).

وأوضح هرتزل في خطابه أمام المؤتمر أن أرض إسرائيل الجديدة ستكون أول محطة للشعب اليهودي في مساعيه لاستعادة وطن آبائه. (فالمشروع ليس بديلاً لفلسطين، وإنما نقطة انطلاق نحوها أو محطة في الطريق إليها). مؤكداً: "أن الهدف النهائي للصهيونية هو فلسطين، والأرض المعروضة ليست فلسطين، لا ولن تكون فلسطين Zion? No! This is not and never will be Zion ولكنها مجرد ملجأ صغير". وهنا تقدمت إحدى الفتيات راكضة نحو منصة الرئاسة ومزقت خارطة أوغندا المعلقة على الحائط خلف كرسي الرئاسة^(٩١).

ولقي خطابه معارضة شديدة من قبل اليهود الروس الذين لم يكونوا مرتاحين من زيارته إلى بطرسبورج ومقابلته لبوليفيه، وحثهم أن الصهيونية تعني أرض فلسطين (صهيون) أو لا شيء. كما عارض المشروع تريتش ديفز صاحب مشروع الإستيطان في قبرص قائلاً: "إن أي فرصة للاستيطان في الممتلكات التركية سواء في فلسطين أو الأقطار المجاورة لها يجب اغتنامها، وعندها لن تكون حاجة للذهاب إلى أوغندا"^(٩٢).

أما ماكس نوردو نائب رئيس المؤتمر فقال: "إن الأرض التي عرضتها بريطانيا ليست أكثر من مأوى ليلي (nights Lodging) للجماهير اليهودية التي لا مأوى لها"، وأضاف: "إن الإقامة المؤقتة في أوغندا يمكن أن تكون بمثابة مركز تدريب، يتدرب فيه اليهود على أن يكونوا شعباً، ويعدون أنفسهم لاستئناف عملهم كشعب مستقل، ومتحضر". فهدف المشروع هو إنقاذ المنكوبين اليهود حالياً والانتظار حتى تنهياً الظروف لتحقيق كامل الأهداف الصهيونية. وستبقى فلسطين دائماً الهدف النهائي^(٩٣).

إن هدف هرتزل من مشروع أوغندا كان الضغط على السلطان وإرهابه، عملياً وكأنه يخاطبه بقوله: "إذا لم تعطنا فلسطين، فسوف ننسأك تماماً ونذهب إلى شرقي أفريقيا البريطانية،

"He wanted the Congress to accept Uganda in order to frighten the Sultan into action, as if to say: if you won't give us Palestine, We'll drop you completely and go to British East Africa" ⁽⁹⁴⁾

ونجح هرتزل بعد مناقشة حامية، ومريرة، بل وصاحبة في وضع اقتراح تمهيدي للتصويت، وهو إرسال بعثة استكشاف لدراسة جدوى المقاطعة المقترحة، وأهليتها للاستصلاح ويقي القرار النهائي لمؤتمر ثمان يعقد في مدى سنة أو سنتين. ويعترف هرتزل بأنه واجه صعوبة كبيرة في الوصول إلى هذه النتيجة المتواضعة. لأن المعارضة كانت عنيفة، حتى لاقتراح دراسة العرض من باب اللياقة، وخاصة من قبل الصهيونيين الروس ⁽⁹⁵⁾.

جاءت نتيجة التصويت على اقتراح إرسال لجنة استكشاف، لدراسة جدوى مقاطعة شرقي أفريقيا البريطانية، للاستيطان اليهودي على النحو التالي: مئتان وخمسة وتسعون (٢٩٥) قبلوا الاقتراح، في مقابل مئة وسبعة وسبعين (١٧٧) رفضوه، وحوالي المئة (١٠٠) امتنعوا عن التصويت، أي أن الذين شاركوا في التصويت كانوا (٤٧٢) مندوباً من أصل ٥٩٢ مندوباً حضروا المؤتمر كانوا يمثلون (١٥٧٢) جمعية يهودية في العالم ⁽⁹⁶⁾.

كان أكثر المعارضين من الصهيونيين الروس بما فيهم وايزمن، وسوكولوف الذي نادى عليه هرتزل ثلاث مرات كي يشارك في التصويت، ولكنه لم يلب نداءه ⁽⁹⁷⁾. وغادر المعارضون القاعة، وكاد ذلك يؤدي إلى انشقاق في المؤتمر. فلحق بهم هرتزل، وعلى الرغم من اتهامه بالخيانة فإنه نجح في تهدئتهم وأعادهم إلى قاعة المؤتمر. وأوضح للمعارضين الروس:

"إنه لا يزال مخلصاً للصهيون (فلسطين) ولبرنامج بال ⁽⁹⁸⁾. ووصف شاهد عيان منظر هرتزل بقوله: "في لحظة توتر أصبح هرتزل عجوزاً، رأيت وجهه الباهت وعضلاته المتقلصة. ففي لحظة مثيرة رأى هرتزل عدم جدوى الحلم الصهيوني فقد رأى الإرتباك بدلاً من التضامن، والتنافر بدلاً من الوحدة، وربما شعر وهو الرجل القوي أنه فشل" ⁽⁹⁹⁾. ولكن استعداده للمصالحة حال دون انقسام المؤتمر.

ولإرضاء المعارضين الروس فقد وافق على عدم استخدام عائدات المنظمة الصهيونية من الشيكل (Shekel) للإلتفاق على لجنة الاستكشاف، وعلى تشكيل لجنة لاستقصاء ظروف فلسطين وإنشاء محطة اختبارات (تجارب) لاكتشاف الأمراض المعدية، زيادة على الموافقة على مبادرة الصندوق القومي اليهودي في ممارسة نشاطه في البدء بشراء الأراضي في فلسطين ⁽¹⁰⁰⁾. بدلاً من الانتظار حتى الحصول على البراءة الدولية كما جاء في قرار المؤتمر الصهيوني الخامس كانون الأول / ١٩٠١.

لم يكتف هرتزل بذلك، فلكي يدد شكوك المندوبين حول تحوله عن فلسطين فقد ختم المؤتمر بالقسم اليهودي وهو : لتسني يميني إن نسيك با أورشليم

If forget Thee, O, Jurusalem, Let my right hand forget her Cuning. ⁽¹⁰¹⁾

ويلق جرينفيم على قسمه هذا بأنه ليس مجرد مناورة لاستمالة المعارضة، ولكنها تعبير حقيقي للعاطفة أو المشاعر التي انبعثت في نفسه، وقد أعرب عن مشاعره هذه لأصدقائه بعد انتهاء المؤتمر (١٩٠٣/٨/٣١). فقد حدثهم عن الخطاب الذي سيلقيه في المؤتمر السابع إن بقي حياً حتى يراه. فقد كان في البدء ينادي بدولة يهودية في أي مكان، ولكنه أصبح يحمل راية صهيون، مؤمناً بأنها الوحيدة التي سيعود إليها الشعب اليهودي ليستريح. وحتى الآن لم يحصل عليها، وإنما حصل على نتيجة مؤقتة هي شرق أفريقيا، وهي ضرورية لهجرة مئات الألوف من اليهود الذين هم بحاجة إلى مساعدة سريعة. فإذا كانت هذه النتيجة سبباً في الانقسام القوي في الحركة، فانه سيستقيل من الزعامة، وإذا انتخب المؤتمر (القادم) لجنتين تنفيذيتين، واحدة لشرقي أفريقيا، والثانية لفلسطين، فسوف تكون تمنياته الطيبة للساعين من أجل فلسطين .

His good wishes would accompany those Zionists who were favour of Palestine. ⁽¹⁰²⁾

ولكن على الرغم من كل ما قاله هرتزل في خطابه في المؤتمر، وعلى الرغم من قسمه بقطع يمينه إن نسي أورشليم، وما قاله لزملائه بعد المؤتمر، مقروناً بما ورد في خطاب نوردو والتي تدلل على أن عرضه لمشروع أوغندا على المؤتمر كان مناورة للضغط على السلطان العثماني من جهة، وعلى روسيا من جهة أخرى التي كانت راغبة في هجرة اليهود، لتضغط بدورها على السلطان .

رغم ذلك كله، فإن ديزمونت ستيورات يرى أن هرتزل كان جادا بالتحول عن فلسطين لشرقي أفريقيا. وتساءل في دراسته للموضوع قائلاً: هل هرتزل لا يزال صهيونياً؟ ولماذا شرقي أفريقيا؟

في إجابته عن السؤال الثاني أورد ثلاثة أسباب كانت وراء تأييد هرتزل لمشروع شرقي أفريقيا هي : قطعه الأمل باستجابة السلطان العثماني لمطالبه أولاً، وقربه من المشاعر الدينية اليهودية التي هيمنت عليه من خلال أحباء صهيون، التي لا تتفق ونشأته غير الدينية ثانياً. أما السبب الثالث فهو إدراكه للخطر الذي قد يتعرض له الوطن اليهودي مستقبلاً، ليس من قبل السادة الأتراك، بل من قبل العرب الذين يمتلكون البلاد، وإخوانهم في مصر. ودليل ذلك ما قاله هرتزل في يومياته فجأة عام ١٩٠٤ : "هناك حركة عربية تريد أن تجعل من واحد من سلالة (محمد) خليفة. لقد سرق السلطان سليم الأول الخلافة، والآن يمكن استردادها كنوع من البابوية، تحتل فيها مكة مكانة روما". فشرق أفريقيا كانت والحال هذه

طريقا للهروب من فلسطين إلى الأرض العذراء التي لا ترتبط بماضي فيه حكم ديني، يحصل فيه اليهود على دولتهم ويستحقونها^(١٠٣) .

هذه الأسباب غير مقنعة لأن هرتزل ظل بعد المؤتمر الصهيوني السادس يأمل بالفوز بفلسطين، ومصادق ذلك رسالته إلى السفير الألماني في النمسا ١١/٩/١٩٠٣، (أي بعد المؤتمر مباشرة)، التي يقول فيها: "إن رسالة كلمنت هل وعد كريم وحكيم، غير أننا نحن اليهود العنيدون نتمسك أكثر برمال فلسطين وصخورها"^(١٠٤) .

وإذا كان هرتزل قد أدرك، في أواخر حياته، خطر اليقظة العربية على الدولة اليهودية بحيث دفعته للهرب من فلسطين إلى شرق أفريقيا (كما يقول ستورات) ، فإنها كانت على العكس من ذلك من وجهة نظر نائبه في رئاسة المنظمة الصهيونية، وخليفته في رئاسة المؤتمر السابع " ماكس نورودو " فقد كانت في نظره سبباً للتمسك بفلسطين، قبل أن يصبح هذا الخطر حقيقة واقعة، كما سنوضح ذلك لاحقاً.

فترحيب هرتزل بمشروع شرقي أفريقيا وعرضه على المؤتمر السادس كان مناورة وتكتيكا للضغط على الدولة العثمانية، وإرهاباً للسلطان كما ذكر وايزمن، وحلاً لمشكلة المهاجرين اليهود الروس وقتذاك. وليس أصدق في الدلالة على ذلك من استمرار مساعيه للضغط على الدولة العثمانية مباشرة، أو من خلال الدولة الأوروبية: روسيا، وألمانيا، والنمسا، وبريطانيا، وإيطاليا، والبابا في الفترة ما بين أيلول ١٩٠٣، وحتى أيار ١٩٠٤. ففي ١٢/١٢/١٩٠٣ بعث برسالة إلى عزت باشا أخبره فيها بالعرض البريطاني، ولكنه يفضل العودة إلى خطته الأصلية وهي إنقاذ الشعب اليهودي بين إخوانه الذين يعيشون تحت حكم الخليفة^(١٠٥) . وفي ٤/١/١٩٠٤ طلب من شكري باشا ابن وزير الحرية العودة إلى عرض السلطان ١٦/٢/١٩٠٢ وهو الاستيطان في بلاد ما بين النهرين^(١٠٦) .

وبعد أن فشلت مساعيه قام بمحاولة أخيرة مع النمسا فكتب إلى مدير عام وزارة الخارجية ١٤/٥/١٩٠٤ يبلغه أن روسيا، وبريطانيا، وألمانيا وإيطاليا تؤيد مساعيه وهي الحصول على مساحة من فلسطين تكفي لتوطين خمسة ملايين يهودي، على أن يكون سنحق عكا قاعدة هذا التوطين^(١٠٧) . وهذه كانت آخر ما سجله هرتزل في يومياته.

ومما يدعو إلى الملاحظة أن جريدة المنظمة الصهيونية " العالم " " Die Welt " كانت تنشر وبصراحة نشاطات المعارضين للمشروع الصهيوني وبياناتهم كالصهيونيين الروس، والمستوطنين البريطانيين في شرقي أفريقيا. ومن أمثلة ذلك (نشرها في ٣٠/١٠/١٩٠٣) خطاب يوشيشكين Ussikin (أحد المعارضين الصهيونيين الروس) الذي عارض فيه قرار المؤتمر السادس إرسال لجنة استكشاف إلى أوغندا، وقد رد

هرتزل على الخطاب وفند ما ورد فيه من آراء^(١٠٨). وكذلك نشرت أخبار معارضة المستوطنين الانجليز وعرضت بموقف الحكومة البريطانية الفاتر من المشروع^(١٠٩).

وكأنها في عملها هذا تخاطب روسيا وتقول لها أن اليهود الروس يرفضون الهجرة إلى أوغندا، ويفضلون الهجرة إلى فلسطين ولا سيما أن المستوطنين البريطانيين في أوغندا يعارضون في هجرتهم إليها. وإذا كانت راغبة في هجرة اليهود من بلادها فلتضغط على الدولة العثمانية للسماح ليهودها بالهجرة إلى فلسطين.

أليست هذه المساعي، والنشاطات من قبل هرتزل دليلاً قوياً على أن شرقي أفريقيا كقصر وموزمبيق والكونغو وبرقة منارة للوصول إلى فلسطين؟ وهل هرتزل من الغباء إلى درجة يمكن معها أن يغفل أثر العامل الديني في كسب الجماهير اليهودية لتأييد حركته كما سنوضح ذلك لاحقاً...؟

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: إذا كانت تلك هي أفكار وتوجهات هرتزل وهي عدم التحلي عن فلسطين، فلماذا استمرت المعارضة الصهيونية، وبخاصة الروسية ضده إلى درجة أنهم عقدوا مؤتمراً سرياً في خاركوف (تشرين الأول ١٩٠٣) شجبوا فيه قرار ارسال لجنة استكشاف إلى أوغندا، وطلبوا فيه أن يوقع (هرتزل) تعهداً مكتوباً بأن لا يقدم للرأي العام، أو المؤتمر أي مشاريع إقليمية في أي أقطار باستثناء فلسطين وسوريا^(١١٠).

أجاب عن هذا السؤال جرينفيم بقوله: "إن المعارضين للمشروع الأوغندي لم يفهموا الطبيعة المزوجة لسياسة قائدهم. فجهوده لتنفيذ قرارات المؤتمر الصهيوني السادس كانت واضحة وظاهرة للعيان. في حين كانت مساعيه ونشاطاته لصالح فلسطين غير ظاهرة وليست معروفة إلا من قبل أصدقائه ومساعديه المقربين"^(١١١).

وفي نيسان ١٩٠٤، عقدت اللجنة التنفيذية الكبرى للمنظمة الصهيونية، اجتماع مصارحة ومصالحة. وفي ختام الاجتماع قال هرتزل لأعضاء اللجنة: "لقد أصبحت أكثر اقتناعاً مع الزمن بأن الحل الوحيد لمشكلتنا يقع في فلسطين وحدها:

I have entirely convinced that the solution to our problem lies in Palestine alone.

وأضاف: "عندما أقول أنني أصبحت صهيونياً، فهذا يعني أنني لا أزال كذلك، وإن جميع طموحاتي متوجهة نحو زيون. وليس لديكم أي أساس لعدم تصديقي. وليست هناك أي مخاذير، أو قيود في مناقشة المشروع الأوغندي. والقرار النهائي لمشروع أوغندا هو من حق المؤتمر الصهيوني السابع"^(١١٢). وأنه سيشارك القرار إذا اختار فلسطين، ورفض المشروع كما أسلفنا الإشارة.

لم تقتصر معارضة المشروع الأوغندي على الصهيونيين الروس، بل أهما شملت المستوطنين البريطانيين في شرقي أفريقيا، والمندوب السامي البريطاني فيها. فقد أعرب سير تشارلز إيليوت Sir Charles Eliot المندوب السامي في ممباسا (Mombasa) عن رفضه للمشروع، وتكشف رسالة لانسدون ١٩٠٣/١٠/١٥ إلى شارلز إيليوت عن مدى تردد الحكومة البريطانية في إعطاء اليهود مستوطنة من أمكن أجزاء الحمية. واقترح اليوت في رده على رسالة لانسدون إعطائهم منطقة "قوازجيشو" "Guas Ngishu" الداخلية، وبرر رفضه المشروع لشكه في قدرة اليهود على زراعة المنطقة، فقد ينتهي دورهم إلى دور الوسطاء، أو الممولين للمستوطنين الانجليز الذين يفضلهم على اليهود، وقد يؤدي وجود اليهود إلى هجرة المستوطنين البريطانيين من المنطقة من ناحية، وإلى جمود عملية تطوير الحياة المسيحية الحقيقية بين القبائل الأفريقية، الأمر الذي يسعى البريطانيون لتحقيقه، كما أشار أسقف ممباسا من ناحية أخرى^(١١٣) وعزز تردد الصهيونيين الروس في الهجرة إلى شرقي أفريقيا الموقف البريطاني المتردد في حجز مناطق واسعة من الأراضي الصالحة للزراعة لليهود، وجاء ما يمكن تسميته بالضربة القاضية من إيليوت في ١٩٠٤/٣/٢٤. فقد أعلن أنه ليست هناك أرض كافية للمستوطنين البريطانيين ولذا فلم يعد يستطيع أن يوصي بإقامة مستعمرة يهودية في تلك الحمية حتى في سهل "قوازجيشو". وأضاف: "لقد أفنعتني التجربة الطويلة في شرقي أوروبا أنه ليس من السياسة السماح بقيام مستعمرات يهودية بين المسيحيين، فمثل هذا الوضع سيسفر عن صراعات عنصرية". وفي ١٩٠٤/٢٦/تموز كتب لانسدون على مذكرة تحدد اعتراضات الصهيونيين على شرقي أفريقيا: "سنكون محظوظين إذا فشل المشروع تماماً"^(١١٤).

ولقد وصل موقف وزارة الخارجية، غير المتعاطف مع المشروع الأوغندي إلى درجة تشجيع المعارضة الصهيونية، وأوحت لها (أي للمعارضة الصهيونية) أن الحكومة البريطانية لن تعتب عليها إذا رفضت العرض الذي قدمته لليهود. ودليل ذلك الحديث الذي دار بين وايزمن (الذي كان أحد أقطاب المعارضين الصهيونيين الروس للمشروع الأوغندي) والقائم بأعمال الشؤون الأفريقية اللورد بيرسي "Lord Percy" الذي استغرب تفكير اليهود في المشروع الأوغندي. فهو مشروع غير عملي، ويتناقض مع الديانة اليهودية. وتعجب كيف يفكر اليهود بمكان غير فلسطين كمرکز لإحيائهم، أو بعثهم؟ وختم حديثه مع وايزمن قائلاً: "لو كنت يهودياً فلن أدفع بنسأ لهذا المشروع". وقد نقل وايزمن حديثه هذا إلى المعارضين الروس، وعزز موقفهم. كما التقى وايزمن مع السير هاري جونستون Sir Hary Johnston المكتشف المشهور، وأوضح لوايزمن أن قيمة المشروع العملية صفر، وأن المستوطنين البيض البريطانيين سيقاتلون ضد استيطان اليهود بينهم ولقد أقم وايزمن جرينج بخداع هرترل^(١١٥).

فالمعارضة الصهيونية للمشروع، مقرونة بمعارضة المستوطنين البريطانيين، ومشفوعة بآراء بعض الساسة البريطانيين أدت إلى فشل المشروع، وحولت التردد البريطاني إلى رغبة عبر عنها وزير الخارجية البريطاني لانسدون بقوله في ١٩٠٤/٧/٢٦: "سنكون محظوظين إذا فشل المشروع تماماً". وبالطبع فإن حظ بريطانيا سيكون قوياً إذا جاء الرفض من اليهود أنفسهم، وليس من البريطانيين.

المؤتمر الصهيوني السابع ٧/٢٧ - ١٩٠٥/٨/٢ - ورفض مشروع أوغندا

سافرت لجنة الاستكشاف التي كلفت بدراسة جدوى مشروع شرقي أفريقيا إلى المنطقة المقترحة في ١٩٠٣/١٢/٢٥، برئاسة خبير بريطاني هو الميجر جين Gibbons وعضوية اثنين من اليهود، وقدمت تقريرها إلى اللجنة التنفيذية في ١٩٠٤/٥/١٦ وفي حين أعرب العضوان اليهوديان عن عدم صلاحية المشروع، سواء من حيث المساحة التي قدرت بـ ٦ آلاف ميل مربع، وفي منطقة بعيدة على الساحل عرفت باسم قوازجيشو. "Guas Ngishu" أو من حيث الزراعة، فالمنطقة رعوية أكثر منها زراعية. أما رئيس اللجنة البريطاني فقال: إن المشروع قابل للاستصلاح واستيعاب ٢٠ ألف مزارع ولكن المعترضين الصهيوين لم يقتنعوا ولا يريدون أن يتركوا شيئاً للصدفة^(١١٦).

عقد المؤتمر الصهيوني السابع في بال يوم ١٩٠٥/٧/٢٧ (أي بعد مرور عام على وفاة هرتزل وحضره ٦٠٠ مندوب من أصل ٨٠٠ مندوب تم انتخابهم لحضور المؤتمر. وكما كان متوقعا فقد كانت الجلسات مثيرة. فالأطراف المختلفة اتخذت استعدادات مسبقة لمواجهة المشروع. فصهيوينو صهيون عقدوا اجتماعاً تمهيدياً في فرايبورج (Freiburg) كان امتداداً لمؤتمر فلنا (Vilna) في ١٩٠٤/١/١٤ وفيه رفضوا فكرة الاستيطان خارج فلسطين^(١١٧).

نوقش تقرير اللجنة في عدة أيام، وفي ١٩٠٤/٧/٣٠ عقدت جلسة خاصة للنظر في قرار المؤتمر السادس حول إرسال لجنة استكشاف لشرقي أفريقيا وجاءت النتيجة رافضة للمشروع. فالمساحة المقترحة ليست كافية، وإمكانية الاستيطان غير متوافرة على نطاق واسع، فصوتت الغالبية المطلقة على رفض المشروع، وناشد اسرائيل زنجويل المؤتمر قبول المشروع، وعندما لم يأخذوا بوجهة نظره اجتمع وأنصاره خارج المؤتمر وأطلق عليه وأنصاره اسم الإقليميين الذين يرون أن هدف الصهيونية الرئيس ليس مرتبطاً بفلسطين ويمكن تحقيقه في أي قطر آخر يصلح للاستيطان الجماهيري وللحكم الذاتي. وشكل منظمة

باسم Jewish Territorial Organization J.T.O^(١١٨)

وتبنى المؤتمر قراراً توفيقياً قدمه الاسكندر مارمرك Alexander Marmorek باسم اللجنة التنفيذية

وهو:

" يعلن المؤتمر الصهيوني السابع بأن المنظمة الصهيونية تتمسك بقوة بالمبدأ الأساس لبرنامج بال وهو : إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي يضمنه القانون العام في فلسطين، وترفض أي نشاطات استيطانية سواء كانت غاية، أو وسيلة، خارج فلسطين والأقطار المجاورة لها".

كما قدم المؤتمر شكره للحكومة البريطانية لعرضها مقاطعة في شرقي أفريقيا البريطانية لاستيطان اليهود في ظل حكم ذاتي. والمنظمة لن تشغل نفسها مرة أخرى في هذا الاقتراح. ويقدر المؤتمر عالياً اعتراف الحكومة البريطانية بالمنظمة الصهيونية في سعيها لإيجاد حل للمسألة اليهودية وتعرب عن تقديرها للحكومة البريطانية في أي جهد مناسب تقدمه وفقاً لبرنامج بال. وإنها تعتبر كل من يعلن ولاء لبرنامج بال بأنه صهيوني^(١١٩).

ولكن لماذا حصرت المنظمة الصهيونية النشاطات الاستعمارية الصهيونية في فلسطين والأقطار المحاذية لها؟ بحيث تصبح فلسطين المكان الوحيد لاستيطان اليهود وإقامة وطنهم القومي، بعد أن كانت المكان الأول، والأفضل منذ المؤتمر الصهيوني الأول آب/١٨٩٧ .

إن تمسك المنظمة الصهيونية عام ١٩٠٥، بقرارات المؤتمر الصهيوني الأول في بال ١٨٩٧ يرجع إلى عدة اعتبارات دينية، وسياسية، وعلمية، يمكن تناولها على النحو الآتي :

الاعتبارات الدينية:

وتتمثل في حرص قادة الحركة الصهيونية على استمالة الجماهير اليهودية الغارقة في ثقافة التوراة من ناحية والجماعات المسيحية المؤمنة بنبوءات الكتاب المقدس من ناحية ثانية. وبعبارة أخرى استغلال الدين لتحقيق هدف الصهيونية السياسي .

فمؤسس المنظمة الصهيونية ثيودور هرتزل لم يكن متديناً، ولم ينشأ تنشئة دينية. ويورد ديزمونت ستيوارت العديد من الشواهد على ذلك . فيقول : " لم يكن هرتزل ليتبنى الدين اليهودي من باب الاقتناع، فقد ولد لا أدياً، وبين صباه في بودابست وعام ١٨٩٤ لم يحضر صلاة في المعبد اليهودي، واتفق وزوجته على أن لا يختن ابنه هانز "Hans" وأكل الأكل الذي لا تبيحه الشريعة اليهودية^(١٢٠).

وعندما زار هرتزل حائط البراق (المبكى) تشرين الثاني ١٨٩٨، على هامش زيارة القيصر الألماني لاستانبول والقدس قال : " لم أشعر بأي عاطفة عميقة، لأنني شعرت بأن المكان جميعه قد شملته مسحة من الاختصار بالشحادة. على الأقل هكذا كان المكان عندما كنا فيه^(١٢١) .

ولكن ذلك لم يمنع هرتزل من استغلال الدين لتحقيق هدف الصهيونية الرئيسي في فلسطين دون غيرها من الأماكن، والشواهد على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر ما كتبه في يومياته يوم ١٨٩٥/٦/١٥ " سيكون الحاخامون أسساً في منظمتي، وسوف أكرمهم. إنهم سينشطون الناس، ويعلمونهم أثناء الرحلة (طبعاً إلى صهيون) ويهدونهم في الجانب الآخر، ومكافأة لهم سيكون لهم سلطة

كهنتوتية معززة" (١٢٢) وفي اليوم التالي كتب يقول: "إنني أريد أن أتعامل مع الحاخامين، جميع الحاخامين، سنقوم بندايات خاصة لاشترائك الكهنة، فيكون الحاخام نواة الجماعة، سيفهم الحاخامات قضيتنا أولاً، ويتحمسون لها، وينقلون هذا الحماس للآخرين من على منابرهم. رجال كهنتنا سيكونون أول من يفهمنا ويذهبون معنا" (١٢٣).

وهذا ما قاله الحاخام موهليفير "Rabbi Mohilewer" في برقية تمتهة إلى المؤتمر الصهيوني الأول: "الهجرة إلى فلسطين واجب ديني، ولذا يجب أن يكون الدين عامل هام وموجه في الحركة الصهيونية".
Religion should there fore be a leading factor in the Zionist movement. (124)
وفي المؤتمر الصهيوني الثاني طالب هرتزل بالحاجة إلى فتح الجمعيات الدينية أمام الصهيونية وأصبح هذا الطلب شعار المؤتمر وأدى إلى طرح العديد من المشاريع لتعزيز ربط الصهيونية بالحياة اليهودية، أو كما قال هرتزل أن العودة إلى اليهودية تسبق العودة إلى الأرض اليهودية (١٢٥).

وأما في المؤتمر الصهيوني الرابع، فقد طالب الحاخام "Reines" خاخام ليدا بزيادة تمثيل الحاخامات في اللجنة التنفيذية ومن ثم زيادة أثر الدين والمتدينين الصهيونيين، وأن لا يبقى المجال مقصوراً على العلمانيين وسيطرتهم على الحركة (١٢٦).

وليس أبلغ في الدلالة على أثر العامل الديني في قرار المؤتمر الصهيوني السابع مما قاله وايزمن، تعليقاً على وضع خارطة أوغندا في المؤتمر الصهيوني السادس: "لو أن موسى حضر المؤتمر الصهيوني السادس الذي تبني قرار إيفاد لجنة إلى أوغندا لدراسة إمكانية توطين اليهود فيها، فإنه سوف يحطم الألواح مرة أخرى، فأني انخراف عن فلسطين هو شكل من أشكال الوثنية" (١٢٧). وقد عاد وكرر هذا المعنى بكلمات أخرى في مؤتمر لندن ١٩٣٩، فاصغ إليه وهو يقول: "لو أن موسى اختير لإرسالنا لأمريكا، فقضيتنا سوف تكون سهلة ولكنه لم يختار لعمل ذلك، وهو ليس موجوداً لبحث القضية معه.

If Moses had chosen to bring us to America our problem would have been easy, but he did not chose to do so, and he is not here to discuss it. (128)

وقد أوضح بن جوريون العلاقة بين الصهيونية واليهودية في رسالته إلى الرئيس الفرنسي شارل ديغول ١٩٦٧/١٢/٦ بقوله: "لقد آمنّا طوال الآف السنين بنبوءات أنبيائنا، وبيننا أشخاص يؤمنون بمجيء المسيح الذي سيجمع يهود العالم أحياء وأمواتاً في الأرض المقدسة. فالصهيونية هي الجانب القومي في اليهودية، واليهودية هي الجانب الديني في الصهيونية وإسرائيل تحقيق سياسي للأثنين" (١٢٩).

فالديانة اليهودية هي العبادة التي لبسها الصهيونيون من أجل إثبات حقهم التاريخي ومن أجل إقامة وطنهم القومي في فلسطين، والتغريب بالرأي العام العالمي، علماً بأن العديد من قادة الصهيونية، بل ومن

المهاجرين ملحدون، فهرتزل عندما سأله الملك عمانوئيل الثالث ملك إيطاليا عما إذا كان لا يزال يتوقع عودة المسيح، أجاب في حرج واضح مؤكداً للملك: "أنهم يؤمنون بهذه الفكرة في الأوساط الدينية وحدها، أما بدوائرنا الأكاديمية المستنيرة فليس لمثل هذه الفكرة وجود بطبيعة الحال" (١٣٠). وقبل مقابلته للبابا (كانون ثاني ١٩٠٤) قال لصديق البابا الرسام ليبي: Leeby: "لست ذاهباً للفاطيكاني بصفة معتنق لدين جديد، أو مهتد حديثاً، ما أنا إلا رجل سياسة أتكلم بلسان شعبي" (١٣١).

أما المسيحيون الأوروبيون، فكانوا متأثرين بالفكر المسيحي الاسترجاعي الذي عاصر ميلاد الصهيونية، والذي بشر بعودة اليهود الجماعية إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح، وهذا ما عرف بالعقيدة الألفية (١٣٢). ويسجل هرتزل في يومياته بتاريخ (١٨٩٥/١١/٢٤) على لسان جولد سمد قوله: "سيساعدنا المسيحيون المتدينون إن ذهبنا إلى فلسطين، لأنهم ينتظرون مجيء المسيح بعد رجوع اليهود إلى بلادهم". وكرر هذا الكلام في رسالته إلى القيصر الألماني في استانبول ١٨٩٨، بقوله: "لا خوف من رفض الانجليز، لأن الكنيسة الانجليزية في جانبنا" (١٣٣).

ولكن الباب بيوس العاشر (Pius x)، ووزير خارجية الفاتيكان الكاردينال ميري دي فلل (Merry del Val) رفضا تقديم أي مساعدة لليهود، أو الموافقة على سيطرتهم على القدس، بحجة أنهم لم يعترفوا بقداسة المسيح. فرد البابا على جميع طلبات هرتزل كان الرفض (Non Possumus) والقدس يجب أن لا تكون تحت سيطرة اليهود (١٣٤) "Gerusalemme must not get into the hands of the jews" ولا أعتقد أن هناك مجالاً للشك فيما أورده هرتزل في يومياته عن موقف البابا ووزير خارجيته تجاه المشروع الصهيوني. فمن مصلحة هرتزل أن يحصل على دعم البابا، ومباركته لمشروعه.

وفي الولايات المتحدة تطوعت بعض الحركات المسيحية الأمريكية أواسط القرن ١٩، كالكسبتيين وشهود يهوه، والمارمون لإقناع اليهود بساميتهم وبحقهم في فلسطين. وفي ١٨٩١/٦/٣١ حثت صحيفة نيويورك ديلي تريبيون، الحكومة الأمريكية إلى التدخل لاقطاع فلسطين وطناً لليهود وإسكان المهاجرين الروس فيها (١٣٥).

الاعتبارات السياسية :

أما الاعتبارات السياسية فتتمثل في أن فلسطين لم تكن خلال هذه الفترة (١٨٩٥ - ١٩٠٥) محط أطماع أي من الدول الأوروبية، وبالتالي "فإن أوروبا كما قال هرتزل مستعدة أن تشجع اليهود، لاحتلال فلسطين، أكثر من غيرهم، ليس لأن لهم الحق التاريخي الذي يضمه أقدس كتب البشرية، وإنما شعور العمل السائد على إخراج اليهود" (١٣٦).

فالدول الأوروبية الراغبة في هجرة اليهود من أراضيها كما هو الحال بالنسبة لألمانيا، وروسيا لا ممانع لديهما من هجرة اليهود إلى فلسطين، بل وإقامة دولة يهودية مستقلة فيها. بل إنهما على استعداد للتوسط لدى السلطان العثماني، كما حاول ذلك فعلاً القيصر الألماني تشرين الأول ١٨٩٨، وكما وعدت حكومة القيصر الروسي هرتزل بالسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين وإقامة دولة يهودية مستقلة فيها، بل والسعي لدى الحكومة العثمانية للموافقة على ذلك^(١٣٧).

أما النمسا فمع أنها اعتذرت، شأماً في ذلك شأن إيطاليا عن التوسط لدى الدولة العثمانية، إلا أنها وإيطاليا كانتا متعاطفتين مع المشروع الصهيوني^(١٣٨).

وإذا ما أصبحت فلسطين محط أنظار الدول الأوروبية مستقبلاً، فإنها سوف تكون مسرحاً لنزاع شيطاني رهيب بينها. فروسيا سوف تنازع اليونان حول الكنيسة الأرثوذكسية، وفرنسا سوف تنازع إيطاليا حول الكنيسة اللاتينية (الكاثوليكية)، والنمسا سوف تنازع بروسيا حول المصالح السياسية الألمانية، ناهيك عن موقف بريطانيا. العلاج الوحيد لهذا الشر الكامن لا يكون إلا في إعادة اليهود إلى فلسطين^(١٣٩).

ويبدو أن قادة الحركة الصهيونية كانوا يعون ذلك. وهذا يفسر قرار المؤتمر الصهيوني السابع الذي حصر الاستيطان في فلسطين والمناطق المجاورة باعتبار أن هذا القرار لن يلقى معارضة من الدول الأوروبية، لأنه لن يجنبها ذلك النزاع الشيطاني فحسب، بل إنه سيحقق هدفها في الخلاص من اليهود بتـهـجيرهم من أراضيها كما هو الحال بالنسبة لبريطانيا أيضاً علماً بأن السيطرة على فلسطين وقتذاك لم تكن من أوليات اهتمام تلك الدول التي كانت تركز اهتماماتها على منطقة الخليج العربي، ومشاريع السكك الحديدية. أكثر من اهتمامها بمنطقة قناة السويس.

حتى الدولة العثمانية إذا ما شعرت بخطر اليقظة العربية الذي أشار له هرتزل في أواخر أيامه^(١٤٠) يمكنها أن تعتمد على اليهود كما أشار إلى ذلك ماكس نوردو في خطابه في المؤتمر الصهيوني السابع للدفاع عن حكومة السلطان العثماني بدليل قوله: "إن اليهود يجندون قواهم للدفاع عن السلطان"^(١٤١). ولقد كان لسيطرة اليهود الروس على المنظمة الصهيونية أثره في هذا القرار: "فالتجمع الأكبر لمؤيدينا (على حد تعبير هرتزل) هو في أوروبا الشرقية، إن أربعة ملايين من بين الخمسة ملايين يهودي في روسيا يقسمون بين الولاء لبرناتسكا، والبلد الوحيد الذي يجذب جميع اليهود الروس باستثناء قلة قليلة هو فلسطين، كل البلدان الأخرى تجذب فقط أبناء اليهود الضالين"^(١٤٢).

لاحظ هذا التعبير فيهود روسيا والحال هذه مؤمنون ، بإصرارهم على العودة إلى فلسطين. ويهود البلدان الأخرى ضالون بقبولهم الهجرة إلى غير فلسطين. ولقد أيد وايزمن ما ذهب إليه هرتزل بأن يهود روسيا : " كانوا يهوداً قبل كل شيء وكانت حياتهم على ما فيها من مشقات واضطهاد حياة يهودية خالصة لليهود ولآمالهم " (١٤٣) .

والدول الغربية لا تذكر اليهود إلا عندما تكون مأزومة في معركة حربية، أو سياسية كحال نابليون عندما غزا فلسطين فوجه نداءه لليهود (١٧٩٩/٥/٢٢) وكحال بالمرستون الذي سعى لتوطين اليهود في فلسطين لمواجهة الهجرة اليهودية، من أو إلى أراضيها .

الاعتبارات العلمية :

إلى جانب هذه الاعتبارات السياسية والدينية. فهناك اعتبارات علمية، تمثلت في النشاطات التي قام بها صندوق اكتشاف فلسطين الذي أنشأته الحكومة البريطانية عام ١٨٦٥. فقد شجع الصندوق (من خلال نشاطاته، وكتابات العاملين في حقل اكتشافاته) دعاة الصهيونية على المضي في مشروعاتهم. وفي إعطاء صورة موسعة لفلسطين. فلولا المعلومات والدراسات التي توافرت تحت إشراف الصندوق ل بقيت الأرض المقدسة "Terra Zenta" أرضاً مجهولة (بالنسبة إلى الكثيرين الذين جرى إيقاعهم في حـب صهيون وبخاصة من البريطانيين)، بل إنما كانت أرضاً خربة، ومهجورة منها إلى أي شيء آخر (١٤٤) .

وليس أبلغ في الدلالة على الدور الذي لعبه الصندوق في تعريف الأوروبيين عامة والصهيونيين خاصة مما قاله كلود كوندل Cloud Conder في محاضرة بعنوان مستقبل فلسطين : " إنه كان لي وللجمعية التي أعمل لحسابها دور في هذه الحركة (ويعني بها التعريف بفلسطين). فقد حاربت الفكرة القائلة بأن فلسطين لم تعد تصلح للسكن، وإنه يمكن تحويلها إلى جنة واحدة واسعة الأطراف " (١٤٥) .

خاتمة:

كانت فلسطين المكان الأول والأفضل، بل والوحيد في نظر هرتزل لتحقيق هدف الصهيونية الرئيسي، وهو إقامة وطن قومي لليهود فيها. باعتبارها المكان الوحيد الذي يجذب الجماهير اليهودية الغارقة في ثقافة التوراة وبخاصة في روسيا، لتأييد مشروعه الصهيوني. أي أنه يريد إستغلال هذه المشاعر الدينية لدى اليهود التي لا يؤمن بها لتحقيق مشروعه هذا .

أما الأماكن البديلة لفلسطين التي فكر فيها، كقبرص والعريش، وبرقة وموزمبيق، والكونغو أو التي عرضت عليه كحلب، وبلاد ما بين النهرين وأوغندا، فقد كانت بنوعها بدائل مؤقتة، يمكن الانطلاق منها إلى فلسطين أو مبادلتها بها. هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فقد كانت وسيلة ضغط على

السلطان العثماني وحكومته لتلبية طلباته، في حال تأكده من تحول هرتزل عن فلسطين، فيفقد الأمل في الدعم اليهودي الذي كان يمتّيه به هرتزل .

وفشلت مساعي هرتزل، سواء لدى البابا، أو لدى الدول الأوروبية، للضغط على الدولة العثمانية لتلبية طلباته. والسبب أن فلسطين لم تكن تحتل أولوية اهتمامات تلك الدول في تلك الفترة، (وبخاصة بريطانيا) كما أصبحت عليه الحال خلال الحرب العالمية الأولى .

الهوامش

(١) يدعي إسرائيل كوهين أن فكرة العودة إلى فلسطين قديمة، قدم تشتت اليهود، إذ ما كادوا يفتقدون

استقلالهم، حتى بدأوا بالصلاة والحنين من أجل العودة

Israel Cohen The Zionist Movement, London 1945, P.15

(2) من الأمثلة على هذه الدعوات الأوروبية في الفترة ما بين القرن السادس عشر الميلادي، وحتى النصف

الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي انظر :

Jewish Encyclopaedia Vol. XII (12) U.S.A, 1994, Pp. 667 - 669.

J. Encyc. وسيشار لها لاحقاً

Encyclopaedia Judaica, Jerusalem 1978, P.1158 وسيشار لها لاحقاً

J. Encyc. وسيشار لها لاحقاً

وكذلك Isaitt Friedmann Germany, Turkey, and Zionism, Britain 1977, P.5

وحول جذور التأيد الغربي للأحياء اليهودي، راجع مروان بحيري، الحركة الصهيونية، منذ نشأتها حتى

الحرب العالمية الأولى، وردت في كتاب، القضية الفلسطينية، والصراع العربي الصهيوني، اتحاد

الجامعات العربية، ط١، الموصول ١٩٨٣، ص: ١٧١ - ١٩٤ .

(3) حول دعوة نابليون هذه انظر : رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي،

ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، عدد ٩٦، الكويت ١٩٨٥، ص ١٠٦ - ١٠٨ .

وانظر أيضاً حول بواعث دعوة نابليون، واستجابة اليهود لها :

Nahum Sokolow, History of the Zionism 1600 - 1918, London, NewYork, Bombay Calcutta and Madras, 1919, I P. 63-66 .

(4) حول مساعي بالمرستون لدى الباب العالي للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، من خلال السفير

البريطاني في استانبول اللورد بونسي Lord Ponsby انظر : Leonard Stien The Balfour

Declaration, London, 1961, PP. 607, Note, 23, P. 9.

وهيكل المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل، الكتاب الأول، طبعة ١٥، القاهرة ١٩٩٦، هامش

٣/ص ٦٧

وحول ردود فعل يهود أوروبا تجاه صهيونية قضيتهم انظر : الشريف هامش ٦٥، ص ١٣٤ .

(5) حول هذا المنظور التوراتي لعودة اليهود انظر :

J. Encyc. P. 667.

(6) حول نشأة هذه الجمعية في خاركوف في روسيا (Kharakove)، ونشاطها انظر :

Walter Laqueur, A Short History of Zionism, New York 1967, PP. 75-83.

وحول الجمعيات المماثلة لها خارج روسيا انظر :

J. Encyc P. 670, Cohen, PP.18, 19

(7) أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣٣ .

(8) Friedmann, p. 16, Laqueur, p. 81, Chaim Wiezmann Trail and Error, U.S.A. 1972, P. 43. Issacc Gruenbaum, The History of Zionism vol. I. Tell-Aviv, 1953 PP. 76-77.

وفي المؤتمر الصهيوني الأول نفي ثيودور هرتزل Theodor Hertzl أن يكون بيرنباوم هو مكتشف الصهيونية، ومؤسسها، وبالتالي فإنه ليس سلفاً له. ووصفه بالواقحة، والاستجداء. يوميات هرتزل، اعداد أنيس الصايغ، ترجمة هيلدا شعبان الصايغ، بيروت ١٩٦٨ ص ٤٤٣ - ٤٤٤، وسوف أشير له لاحقاً: يوميات هرتزل، انظر ايضاً: ديزموند ستيوارت : Desmond Stewart، ثيودور هرتزل. ترجمة فوزي وفاء، إبراهيم بيضون، المؤسسة العربية للدراسات النشر، بيروت/١٩٧٤، ص ٢٦١ .

(9) Wiezmann, PP. 46, 68, 83, Cohen, PP. 71-72, Encyc. J.P. 1163

يوميات هرتزل: ص ٩٨، ويذكر كوهن أن بيرنباوم دعا إلى مؤتمر صهيوني علم ١٨٩٣، (P.52) في حين يذكر ستيوارت أن زادوك كان (Zadok Khahen) رئيس حاخامات باريس اقترح على هرتزل في عام ١٨٩٦ عقد مؤتمر يهودي على أن يكون سرّياً بهدف مصالحة هرتزل مع إدموند روتشيلد Edmond de Rothschild (رئيس آل روتشيلد في باريس) ومع أن هرتزل رحب بالفكرة، ولكنه رفض أن يكون المؤتمر سرّياً. ستيوارت، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، وحول شخصية ادموند روتشيلد انظر: Sokolow, I, P. 231، يوميات هرتزل : ص ٤٥٤ .

(10) يوميات هرتزل : ص ٤٥٤ .

Laqueur, P. 83.

(12) حول قرارات المؤتمر الصهيوني انظر:

Gruenbaum, Vol. 2, PP. 20-21, Arther Sael Super, The Story of Theodor Herzl, London, 1960, P. 82, Sokolow, I, P. XXIV (24) ٢٩٧ ص و ستيوارت:

(13) يوميات هرتزل : ٦٨ - ٦٩ .

(14) ستيوارت: ٢٩١ وحول استشارة هرتزل بعض أصدقائه قبل نشر كتابه.

Cohen, P. 69 .

انظر :

(15) وحول البارون دي هيرش، انظر : Sokolow, I, PP. 248 - 253.

(16) يوميات هرتزل : ٧٠ - ٧١، وحول زيارة هرتسل إلى لندن، راجع :

J.Enyc, p. 670
Theodor Herzl, The Jewish State, Translated by Sylvie de Avigdor, 5th (17)
Edition, London, 1967, P. 30.

والفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية، اشراف أنيس صايغ، ترجمة لطفي العابد سلسلة كتب فلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٢٠

(18) حول اثر هذه الشخصيات على تحول هرتزل الى فلسطين، انظر: يوميات هرتسل: ٧١ - ٧٥ .

انظر رسالة هشر الى دوق بادن Baden في ١٨٩٦/٣/٢٣ ، Friedman, P. 56.
وحول اللقاء بين هرتزل وهشر وأثره على توجهات هرتزل نحو فلسطين انظر: رزوق ص ٤٩ - ٥٦ .

(19) ستورات : ٢٩٧، Gruenbaum, 2, p. 19-20, Freidmann, p. 95 .

وفي خطاب هرتسل في المؤتمر أشار الى فلسطين كمكان لهجرة عشرة آلاف يهودي كل عام، وأشار لها بكلمات: هناك، الوطن التاريخي، الأرض الفقيرة، أرض آبائهم انظر خطابه في : الصايغ، الفكرة الصهيونية، ص ١٢٣-١٢٨ . ويذكر رزوق أن اشارات هرتزل إلى فلسطين في يومياته تتسم بالغموض والتورية، واستخدام شيفرة خاصة في الإشارة إليها : مثل : أرض إسرائيل، الذبابة - ايزلند، المطبعة، سوق الملفوف، بلاد فارس ، هناك، بالإضافة إلى رقم ١٦، رزوق ، ص ٨٦ .

(20) حول العروض الذي قدمها هرتسل في المناسبات المختلفة للدولة العثمانية انظر على سبيل المثال: يوميات هرتزل بتاريخ ١٨٩٧/٦/٤، ص ٥٤-٥٧، وخطته التي قدمها إلى وزير خارجية النمسا في ١٩٠٤/٤/٣٠، والرسالة التي بعثها إلى مدير عام وزارة الخارجية النمساوية ١٩٠٤/٥/١٤ وهي آخر ما كتبه في يومياته، يوميات هرتزل ، ص ٣٣١ .

(21) يوميات هرتزل: ٣٦، Mimk. Oke Saraydaki Casus, Istanbul, 1990

ترجمة الدكتور وليد العريض، مخطوطه قيد النشر، ص ١٣٦، وسيشار له لاحقا العريض. وكان أحمد توفيق باشا قد بعث تقريرا إلى الباب العالي حول قرارات مؤتمر بال، ذكر فيه أن اليهود اقترحوا انشاء دولة يهودية : العريض ١٥١ - ١٥٢ .

(22) حول شخصية نيفلنسكي، انظر: ستورات ٢٦٨ - ٢٦٩، ويوميات هرتزل ٥٤٥ . Friedman,

P. 77, Note (4)

- (23) الذي لم يكن متحمساً للمشروع كما يقول فاميري، العريض، : ١٥٥
- (24) يوميات هرتزل: ٢٨، انظر أيضاً، ما كان يفكر فيه بودنهايمر (Bodenheimer) رفيق هرتزل في هذه الزيارة، المصدر نفسه : ١١٣.
- (25) يوميات هرتزل : ٣٥، ستيوارت : ٢٧٨ - ٢٧٩ . . Laqueur, P. 108, Friedmann, p. 93
- العريض: ١٥٠، حاول هرتزل الاتصال مع نزار بك زعيم منظمة هنشاك Hanchuk، الأرمنية في لندن لحل المسألة الأرمنية سلمياً ولكنه رفض، واتهم هرتزل بالتعاون مع الأتراك لإقناع الدول الأوروبية بعدم مناصرة الأرمن، مقابل موافقة الدولة العثمانية على إقامة دولة يهودية في فلسطين، العريض: ١٥٦، ولقد اتهم نوري بك أثناء لقائه هرتزل في لاهاي ١٨٩٩ نيفلنسكي بأنه غش هرتزل منذ البداية، ولم يلفت نظر السلطات التركية إلى اقتراحات هرتزل، بل أنه عرض بدلاً من ذلك التجسس على الصهيونيين لصالح الأتراك، وتآمر في ذلك مع السفير التركي في فيينا، محمود نديم، ستيوارت ص ٣٢٤.
- (26) يوميات هرتزل ١٨٩٦/٧/٢٦، ص ٤٣ - ٤٤، وانظر أيضاً ص ٣٦ - ٣٧.
- (27) Gruenbaum, 2m PP. 28-33, Encyc. Zionism and Isrel P. 281.
- Enyc. Z.I وسيشار لها لاحقاً :
- ودليل إسرائيل العام، تحرير صبري جريس، وأحمد خليفة بيروت ط ٢، ١٩٩٦، ص : ٤١٣ - ٤١٤.
- (28) يوميات هرتزل، ١٠٦، ستيوارت ٣٠٤، PP.، Friedmann, P. 68, and , Appendix (A) , PP. 420 - 421
- (29) يوميات هرتزل ١١٤ - ١١٥، ستيوارت ٣١٠ - ٣١١، Ibid, P.76
- (30) حديث هرتزل مع السفير الألماني في فيينا ١٨٩٨/٩/١٦، يوميات هرتزل، ١٠٥، بل أنه كتب يوم ١٨٩٨/١٠/١٥، وهو في طريقه إلى استانبول : " إن حدود الدولة اليهودية تمتد من وادي النيل إلى الفرات " المصدر نفسه ١١٣.
- (31) وروى هرتزل هذا الكلام على لسان نيفلنسكي، وأضاف أن الإمبراطورية كانت متضايقة من اليهود، يوميات هرتزل ص ١٢٥، وانظر حول الموضوع ستيوارت : ٣١٩،
- Friedmann, PP. 78 - 79
- (32) رسالة هرتزل إلى وزير الخارجية الألماني شباط ١٨٩٩، يوميات هرتزل، ١٤٠.

Friedmann, P. 82

(33) وردت في الخطاب الذي قدمه للقيصر في

استانبول ١٨/١٠/١٨٩٨، يوميات هرتزل؛ ص ١١٧. أطلق هرتزل الأوصاف التالية على فلسطين لدى زيارته لها، فقد وصفها بقوله: أمنا صهيون، أرضنا الأم الحبيبة، بلدنا، الساحل اليهودي، ستيوارت ص ٣١١ - ٣١٢، رزوق ص ٤٦ .

(34) يوميات هرتزل، ص ١٢١ - ١٢٣ .

Friedmann, P. 82

(35) نقلا عن مذكرات بولوف

وانظر أيضاً: علي محافظة العلاقات الألمانية - الفلسطينية ١٨٤١ - ١٩٤٥ - بيروت ١٩٨١، ص ١٥٠. وحول الضرر الذي سيلحقه التدخل الأوروبي بالحركة الصهيونية لدى الدولة العثمانية، وبالمصالح الألمانية: انظر: مذكرة وزير الخارجية الألماني Oswald von Riehthoven بتاريخ

Fridmann PP. 114-115. ١٩٠٤/١/٢٦

(36) يوميات هرتزل ١٤٦، علماً بأن القيصر الألماني اعتذر عن مقابلة هرتزل في شباط ١٨٩٩، المصدر نفسه ١٣٦ - ١٣٧، وانظر أيضاً رسالته إلى أرتين باشا، أحد مستشاري السلطان نيسان ١٨٩٩، المصدر نفسه ١٤٣ - ١٤٤، وطلب من دوق بادن آذار/ ١٩٠٠ أن يسعى القيصر الألماني لدى السلطان كي يقبل مقترحاته باعتباره صديق السلطان المعظم. المصدر نفسه ١٥٩ - ١٦٠ .

(37) حول هذا اللقاء، وعلاقة هرتزل مع فاميري انظر العريض: ص ١٥٦ - ١٥٧ وفاميري هذا يهودي مجري، وعميل سري لكل من تركيا وبريطانيا كان يتكلم اثني عشر لغة، ودان بخمس ديانات. وكلن أستاذ اللغات الشرقية في جامعة بودابست ومدرساً خصوصياً لأخت السلطان، حول شخصيته انظر: يوميات هرتزل: ١٦١ - ١٦٢ ، وستيوارت: ٣٣١،

Friedmann, PP. 96-97, Supre, PP. 128 - 129, Laqueur,, PP. 111-112, Greunbaum, 2, PP. 147-148.

Friedmann, P. 97

(38) العريض : ١٥٨،

(39) يوميات هرتزل: ١٧٢ - ١٧٣، ويتفق ستيوارت مع هذه اليوميات بتحديد موعد المقابلة يوم ١٨/٥/١٩٠١، ص ٣٣٤ وكذلك كوهن Cohen, P.77 أما فاميري فيذكر أن المقابلة كانت يوم ١٩/٥/١٩٠١، العريض ص ١٦٧ .

وأما لأكير، وفريدمان، وجرينفيم فيذكرون أن المقابلة كانت يوم ١٧/٥/١٩٠١،

Laqueur, P. 115, Greunbaum, 2 P. 44, Friedmann P: 97.

(40) حول مقابلة هرتزل للسلطان راجع يوميات هرتزل : ١٧٣ - ١٧٧ . Super, PP. 129 - 134 .

- (41) العريض ص: ١٦١ - ١٦٢ .
- (42) وحول القيود التي فرضها السلطان العثماني على زيارة، وإقامة اليهود في فلسطين انظر المحافظة: هامش ٦٥، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
Friedmann, P. 97 .
- (43) يوميات هرتزل ١٩-٢٠٤ .
Greunbaum, 2, PP. 55-56, Laqueur, 116
- وقد يكون من أهداف زيارته هذه الحصول على البراءة حتى يكون بإمكانه شراء الأراضي في فلسطين بأموال الصندوق القومي Kern Kayemth الذي تقرر انشاؤه في المؤتمر الصهيوني الخامس الذي عقد في كانون أول / ١٩٠١
- Greunbaum, 2, PP. 48 - 49.
- (44) يوميات هرتزل ٢٠٩ - ٢١١، ٢٢٢. هذا وقد كرر هذه المطالبة (أي ببلاذ ما بين النهرين) في مناسبات لاحقة كما يتضح من خلال هذه الدراسة .
- (45) المصدر نفسه : ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- (46) المصدر نفسه : ٢٣٠ - ٢٣٢، وألح أن سنحج حيفا (والأصح عكا) يقربه من القدس بدليل قوله: " عندما أكون جاراً وصديقاً جدياً للسنحج في القدس الذي أريد أن أحصل عليه في أقرب فرصة، المصدر نفسه : ٢٣٧، وهذا يناقض ما ذكره في أكثر من مناسبة بأنه لا يريد الأماكن المقدسة، انظر على سبيل المثال لا الحصر: رسالته إلى البارونة برتافون ستنر ١٦/١/١٨٩٩، ورسالته إلى دوق بادن ٢٨/٥/١٩٠١، يوميات هرتزل : ١٣٢، ١٨٣ على التوالي .
- (47) المصدر نفسه ٢٣٣
- Greunbaum, 2, p. 56
- (48) المصدر نفسه ٢٣٦
- (49) المصدر نفسه ٢٣٦
- (50) المصدر نفسه : ٢٨٩، رزوق ، ١٠٠
- (51) يوميات هرتزل : ١٥٩ - ١٦٠
- (52) ستورات: ٣٢٣ - ٣٢٤، وحول مساعي هرتزل لمقابلة القيصر الروسي انظر : يوميات هرتزل : ١٣٣، ١٤٥ - ١٤٨ .
- (53) المصدر نفسه : ٣٥، ستورات : ٢٨٠ .
- (54) يوميات هرتزل : ٦٦
- (55) يوميات هرتزل : ٨٨ وحول شخصية ديفز تريتش انظر رزوق ١٥٤، ويذكر ستورات أن هرتزل ظل يراسل ديفز الذي كان داعية لتوطين اليهود في قبرص : وحاول في المؤتمر إحراج هرتزل باقتراحه

تعديل برنامج بال بحيث يكون كالآتي: تحاول الصهيونية أن تقيم لأغلبية اليهود وطناً في فلسطين وفي أراضيها المجاورة، أمناً من كل جانب، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

Ibid, P. 120.

Richard Gotthell, Zionism, Philadelphi, 1944, P. 120.

وانظر أيضاً محمد عبد الرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ - ١٩١٨، القسم الأول، القاهرة ١٩٧٤، ٣٠ - ٣١ .

(56) كان يسعى لتدبير مقابلة لهرتزل مع السلطان مقابل عمولة (٤٠) ألف فرنك .

يوميات هرتزل ٢٣ - ٢٩ / آب ١٨٩٩، ص ١٥٠ - ١٥٢ .

(57) يوميات هرتزل ١٥٤ - ١٥٥ .

Friedmann P. 103 .

(58)

(59) يوميات هرتزل: ٨٢ .

(60) المصدر نفسه ١٦٦ - ١٦٧، ورغم تفكيره بقرص فقد كان يفكر بمشاريع اقتصادية جديدة

لاستعمار فلسطين يومياته في ١٨/٣/١٩٠١، ص ١٦٩ .

(61) يوميات هرتزل: ١٨٦ - ١٨٨، ١٩٤، ٢٠٦ .

(62)

Laqueur, P. 120 Super, 140 .

(63) يوميات هرتزل ٢٤١ - ٢٤٢، وحول شخصية جرينبرج انظر المصدر نفسه، ص ٥١٤ .

(64) المصدر نفسه: ٢٤٣، قال تشمبرلين: لو قدر له أن تجري نقطة دم يهوديه في عروقه لتباهى بها،

المصدر نفسه، ٢٤٣، وستيورات ٣٤٩، . Cohen, PP. 78 - 79 .

في الوقت نفسه كان يسعى لدى القيصر الروسي كي يبارك الحركة الصهيونية ليستميل الشباب

اليهودي يوميات هرتزل: ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(65) يوميات هرتزل: ٢٤٤، ٣٥ .

(66) المصدر نفسه ٢٤٧ - ٢٥٠ . يذكر جرينفيم أن الفقرة حول تجنيد عشرة ملايين عميل يهودي

لخدمة بريطانيا حذفت من المذكرة التي أعدها هرتزل لتقدمها إلى لانسدون ولكنها بقيت في

يومياته فاستغلتها النازية فيما بعد كشاهد على خيانة اليهود

Gr eunbaum, 2, p. 62

(67) المصدر نفسه ٢٤٧ - ٢٥٠ يذكر جرينفيم أن الفقرة حول تجنيد عشرة ملايين عميل يهودي لخدمة

بريطانيا حذفت من المذكرة التي أعدها هرتزل لتقدمها إلى لانسدون ولكنها بقيت في يومياته

فاستغلتها النازية فيما بعد كشاهد على خيانة اليهود Gr eunbaum, 2, p. 62

- (69) المصدر نفسه / ٢٥١ .
- (70) المصدر نفسه : ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- (71) المصدر نفسه : ٢٦٦ - ٢٦٧ .
- (72) المصدر نفسه : ٢٥٤ - ٢٥٥ .
- (73) Greunbaum, 2, P. 63 .
- (74) يوميات هرتزل: ٢٦١، يذكر هيكل أن هرتزل كان يهدف إلى تأجير مساحة أرض قدرها ٦٣٠ ميلاً مربعاً حول العريش اعتبرها هرتزل منطقة تجمع وتركيز ووثوب، تستأجر المنظمة الصهيونية المنطقة لمدة ٩٩ عام وتكون تحت الحماية البريطانية، بمقتضى تعهد موقع وموثق. الاتصالات السرية بين العرب واسرائيل، الكتاب الأول، الحلقة الرابعة، جريدة الرأي الأردنية ١٩٩٦/٣/٩، ص ٣١.
- (75) يوميات هرتزل : ٢٧٩ .
- (76) Laqueur, P. 122, Super,, P. 143, Gotthell, PP. 121, Stien, P. 26 .
- (77) هيكل الاتصالات السرية، الرأي ١٩٩٦/٣/٩، ص ٣١. انظر أيضاً جرينفيم الذي يذكر أن السبب لم يعرف حتى الآن، أما وايزمن فنسب المشروع إلى سياسة الذعر Panic Policy والسبب هو رغبة قادة الصهيونية وقتذاك لـحجرة جماهيرية واسعة فلم تفكر بأي خطة غير ذلك تحقق آلام الشعب اليهودي. فإذا كانت الحجرة على نطاق واسع غير ممكنة فيسقطوا المشروع بكامله، وهذا وحده (في نظره) هو سبب فشل المشروع .
- (78) Greunbaum, P. 65. يوميات هرتزل ٢٨٠
- (79) ذكر سوبر أنه قتل فيها (٤٥) يهودياً وجرح (٦٠٠)، ودمرت بيوت (١٥٠) شخص . Super, P. 145.
- أما لاكير فذكر أن عدد القتلى كانوا (٥٠) مع عدد كبير من الجرحى، واغتصاب عدد كبير من النساء . Laqueur, P. 123.
- أما وايزمن فقد قدر عدد القتلى ب (٤٥) من الرجال والنساء والأطفال، والجرحى بأكثر من ألف والمشردين (٥٠٠)، زيادة على تدمير ونهب العديد من المخازن . Wiezmann, PP. 80 - 82 .
- (80) Stien, PP. 27 - 28, Cohen, P. 79. Greunbaum, 2., p. 76.
- (81) يوميات هرتزل : ٢٩٨ .
- (82) المصدر نفسه : ٢٨٣، ورزوق ص ١١٩ - ١٢٠ .

(83) المصدر نفسه : ٢٩٢، وستيوارت ص ٣٦١، وقد اتصل مع لورد روتشيلد في ١٧، ١٨، ١٩٠٣/٧، وطلب منه العمل على إفشال المشروع الفرنسي حول تسوية أزمة تركيا المالية يوميات هرتزل: ٢٩٢ - ٢٩٣ وذلك للضغط على تركيا لتلبية مطالبه بإغلاق الأبواب غير اليهودية أمام حل أزمتها المالية (84) ستيوارت ٣٦٦، Cohen, PP. 79 - 80, Laqueur , 124.

(85)

Greunbaum, 2, p. 76.

(86)

(87) يوميات هرتزل: ٣٠٤ - ٣٠٥، كانت هذه الرسالة جواباً على رسالة جرينبرج إلى تشمبرلين في ١٣/٧/١٩٠٣ التي تضمنت خطة هرتزل للاستيطان في شرقي إفريقيا: ستيوارت، هامش (٤)، ص ٤١٤ .

(88) حول مساعي جرينبرج لدى تشمبرلين، وتشمبرلين لدى لانسدون انظر

Greunbaum, 2, PP. 79 - 87.

وحول نص الرسالة ومضمونها انظر:

J. Encyc. P. 678, Gotthell, p. 124 .

(89) ستيوارت : ٣٦٨ - ٣٦٩

(90)

Super, 147 .

Grenbaum, 2.82, Laqueur, P. 127, Super, P. 147, Wiesmann, PP. 84 - 85. (91)

انظر رسالة هرتزل الى وزير الداخلية الروسي في ٥/٩/١٩٠٣، يوميات هرتزل : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

Super, P. 148, Greunbaum, 2, P. 86 . (92)

Laqueur, P. 128, Gotthell, P. 129, Greunbaum, 2, PP. 81 - 89. (93)

ومع أن وايزمن يذكر أن نوردو لم يكن مقتنعاً بمشروع أوغندا، إلا أن محاولة اغتياله من قبل أحد الطلبة اليهود الروس في باريس قائلاً: الموت للإفريقي الشرقي، دفع نوردو إلى التمسك بالمشروع قائلاً إن الصهيونية هي إعادة بناء القومية اليهودية على أرض مستقلة أنها ليست مسألة دين ولكنها مسألة تتعلق بالجنس تماماً، وأثنى على مشروع اوغندا، ستيوارت : ٣٧٠

(94) وهذا ما ذكره جرينبرج في رسالة إلى هرتزل في ٧/٦/١٩٠٣ . Wiesmann, P. 85.

علاوة على أنه اعترف من قبل بريطانيا باليهود كشعب وأنه يستحق المساعدة : Cohen, P.

128.

Gotthell, P. 129, Greunbaum 2 P. 81,.

(95) يوميات هرتزل : ٣٠٥،

(٩٦) ورد في يوميات هرتزل أن عدد الذين قبلوا الاقتراح كان مئة وخمسة وتسعين ص ٣٠٥، وأعتقد أن هذا خطأ مطبعي. أما وايزمن فذكر أن عدد الذين رفضوا الاقتراح كان ١٧٥، وحوالي ١٠٠ امتنعوا عن التصويت

Wiezmann, p. 87 .

وستيورات ويتفق مع يوميات هرتزل بالنسبة لهذه الأعداد، ص ٣٦٩.
أما جرينفيم فيذكر أن عدد الراضين للاقتراح كان ١٧٨، بدلا من ١٧٧،
أما الموسوعة اليهودية فتذكر أن عدد الراضين ١٧٨، في حين كان عدد الممتنعين عن التصويت ٩٠.
Greunbaum, 2 p. 92. J. Encyc., p. 679.

أما موسوعة الصهيونية وإسرائيل فاوردت الأرقام ٢٩٥ مؤيد، و ١٧٨ معارض Encyc. Z.I, 301, P. 282

وأما الموسوعة اليهودية فتورد الأرقام التالية ٢٩٥ / مؤيد، ١٧٨ معارض، ١٣٢ تمتنع ٦٠٥ .
Encyc. J. P. 1073.

Wiezmann, p. 87.

(٩٧)

Greunbaum, 2, p. 93.

(٩٨)

يذكر وايزمن أن المعارضين الروس الذين اجتمع بهم هرتزل خارج قاعة المؤتمر لم يقفوا في استقباله، ولم يصفقوا ويهتفوا له بعد خطابيه، وأضاف: "أعتقد أنه في هذا الاجتماع المصغر تأكد ولأول مرة من عمق المشاعر التي تربطنا بصهيون"، وعزى قبول هرتزل للمشروع الأوغندي إلى تضليل جرينبرج Wiezmann, pp. 88-90

ستيورات : ٣٨٤، انظر أيضاً ما ذكره لأكير عن الفوضى التي سادت المؤتمر. Laqueur, PP. 28

(٩٩)

- 29.

وصف شاهد عيان حالة المؤتمر بقوله: كان هذا أصعب قرار واجهته المنظمة فلمدة حوالي نصف ساعة كان الجمهور يصرخ والبعض كان يغني أغاني روسية وآخرون وقفوا على الكراسي، ورشقوا القاعة بأوراق الكراسيات من الشرفات، وألقوا بالكراسي بعنف على الأرض. كانت هناك فوضى هائلة في الشرفات. حوالي ٢٠ فتاة دخلن من باب جانبي وانضممن إلى الجمهور الصاخب. وترك زنجويل وجرينبرج منصة الرئاسة في محاولة لتهديئة الجمهور ولكن المتظاهرين دفعوهما بالأكتاف فحملوهما عاليا، والصخب لم يهدأ حتى بعد إطفاء الأنوار. استمرت المشاهد الصاخبة حتى ساعات الصباح الأولى وكان الكازينو، حيث عقد المؤتمر، محاصراً بالجماهير الصاخبة، وقلة فكروا بالنوم تلك الليلة. Laqueur, PP. 128 - 129.

- (100) Greunbaum, (2) PP. 94 - 95
قدّرت تكاليف الإنفاق على لجنة الاشتكشاف ب (٢٠٠٠) جنيه وقد تبرعت بها السيدة
(Gordon) أحد المسيحيين المتعاطفين مع الصهيونية 81 (1), P. Cohen
(101) Greunbaum (2), P. 98, Super, P. 149.
وقد لاقت استحسان من استمعوا لها : ستوارت ٣٦٩ - ٣٧٠ /
(102) Greunbaum, (2), P. 99. يوميات هرتزل : ٣٠٣ - ٣٠٤
(103) ستوارت : ٣٧٢ - ٣٧٥
(104) Friedmann, P. 110. يوميات هرتزل : ٣٠٠
(105) Ibid, P. 111.
(106) يوميات هرتزل : ٣١٤، وطلب هرتزل في (١٩٠٤/٤/١٣) من وكيله في استانبول كرسي أن
يعاود اتصاله مع المسؤولين الأتراك، انظر يوميات هرتزل ٣٢٩ - ٣٣١.
(107) راجع يوميات هرتزل في ١٩٠٣/٩/١ ص: ٢٩٩، وحتى تاريخ ١٩٠٤/٥/١٤، ص ٣٣١.
(108) Greunbaum 2, PP. 109 101.
(109) Ibid.
(110) حول هذا المؤتمر ومعارضة تشيلينوف Tchlenove لقراراته انظر :
Ibid, pp. 110 - 113, J. Encyc, P. 679.
ولقد وصف هرتزل عملهم هذا بالعصيان، ووصفهم بالساسة السيئين ، وهدد بتحريض جموع
الشعب البسيطة ضد عصيانهم، وقطع المال عنهم. يوميات هرتزل : ص ٣٠٩ .
(111) Greunbaum, 2, p. 101 .
(112) كما بحث اللجنة العديد من القضايا التي ترتبط بالنشاط اليهودي في فلسطين
Ibid, PP. 126 -128, p. 130
(113) ستوارت ٣٧٧ - ٣٧٨ .
(114) تعليق كتبه لانسدون بالمداد الأحمر، المصدر نفسه ٣٧٨، انظر حول مناقشة المشروع في مجلس
العموم ، Encyc. J. P. 1073
(115) Wiezmann, PP. 89 - 90 .
في مقابلة هرتزل للملك إيطاليا فيكتور إيمانويل قال : عندما كنت في فلسطين تحاشيت أن أركب
حماراً أو حصاناً أيضاً لئلا يظنني أحد المسيح ويحرمني، يوميات ، ٣٢١

(116) وقد طبع التقرير باسم الكتاب الصهيوني الأزرق، بالانجليزية والألمانية (لندن ١٩٠٥). J.

Encyc. P. 680

(117) وفي حين ذكرت الموسوعة اليهودية أن عدد الذين حضروا المؤتمر كان ٦٠٠ مندوب من أصل (٨٠٠) مندوب تم انتخابهم، نجد أن موسوعة الصهيونية واسرائيل قدرت عدد الحضور بـ

Encyc., Z. I, P. 282. .٤٩٧

Cohen, PP. 83-85, J. Encyc., P. 690. (118)

(119) انظر نص قرار المؤتمر الصهيوني السابع 681 - 680 J. Encyc., PP. ويقصد بالأماكن المحلورة أو

المتاخمة، سوريا، وتركيا الآسيوية بما فيها العراق وشبه جزيرة سيناء انظر: رزوق: ١٤٣ Encyc.

J., P. 1074.

(120) ستوارت: ٢٣٨ - ٢٣٩، وفي ١٤/١/١٩٩٨ ذكرت الجويش كرونكل Jewish Coronical

أنه ضرب بالعصا لتغيبه عن حصص الدين، ويعلق ستوارت على ذلك بقوله: قد يكون ذلك من

باب الهزل لا الحقيقة: نفسه، ص ٣٠٠

(121) المصدر نفسه: ٤٥٢ .

(122) المصدر نفسه / ٤٨٥ .

(123) المصدر نفسه: ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(124) Sokolow, 2, P. Xlii

(125) Encyc, Z.I.P. 281.

(126) Greunbaum 2, p. 47.

(127) Wiezmann, P. 110

(128) Ben Gorion, My Talks With the Arab leaders, Jerusalem 1972, P. 241.

(129) كمال الحاج، الصهيونية بين تاريخين، دار العودة، بيروت ١٩٧٢، ص ٢٢٠، ٢٢٥.

(130) يوميات هرتزل: ٣٢٠، انظر: المسيري، الايديولوجية الصهيونية، ص ٢٢٠

(131) يوميات هرتزل: ٣١٥

(132) المسيري، الحركة الصهيونية، الجذور التاريخية، عالم الفكر مجلد ١٤، العدد الأول، الكويت،

١٩٨٣، ص: ١٥ - ٢٢، ٢٨.

(133) انظر: يوميات هرتزل: ٧١، ٧٩، ٨٨، ١١٤. اتفقت بروسيا وبريطانيا عام ١٨٤١، للسعي من

أجل هجرة اليهود إلى فلسطين، على أن يتبعها تحولهم إلى المسيحية، فيكون ذلك نصراً للكنائس

البروتستنتية في مواجهة الكاثوليكية. Stien, PP. 8 - 9.

- (134) يوميات هرتزل ٣٢٣ - ٣٢٦، وستيوارت ٣٨١ - ٣٨٢. Friedmann, P. 112.
- (135) بديعة أمين، المشكلة اليهودية، والحركة الصهيونية، بيروت ١٩٧٤، ص ١٥٢-١٥٣، انظر J. Encyc., p. 670. مقالات إيما لازارس (Emma Lazaarus) حول تهجير اليهود إلى فلسطين.
- (136) يوميات هرتزل ٦٤ - ٦٥
- (137) حول مساعي القيصر الألماني لدى السلطان العثماني راجع ما سبق ذكره ص ٦ - ٧ من هذه الدراسة وحول موقف الحكومة الروسية، راجع محادثات هرتزل مع وزير الداخلية الروسي تموز / آب ووعد الحكومة الروسية كانون أول ١٩٠٣. يوميات هرتزل: الهوامش ٥١، ٥٢ وما سبق ذكره في ص ١٧ من هذه الدراسة و 110 - 109 Friedmann, p.
- (138) حول موقف النمسا، وإيطاليا، والبابا، راجع يوميات هرتزل الصفحات: ٣٥٣
- Friedmann, PP.(111-112)
- (139) هذا ما كتبه الرسام الانجليزي هولمان هنت (Holman Hunt) في الخویش كرونيكل Jewish Cronical ٢١/شباط/١٨٩٦ وهو يتفق مع ما كتبه هرتزل : انظر- Sokolov, I, PP. 298-299.
- (140) ستيوارت : ٣٧٣
- (141) رزوق، ص ١٤٤ - ١٤٥
- انظر أيضاً ما قاله نجيب عازوري في كتابه يقظة الأمة العربية، تعريب وتقديم أحمد أبو ملح، بيروت، دزت ص ٤١ حول الصراع بين الحركتين العربية والصهيونية .
- (142) يوميات هرتزل : ٨٧، ٣٠٠
- (143) Wiezmann, PP. 31-32.
- (144) رزوق : ص ٤٥
- (145) Soklow, I, PP. 230 - 231, 274-276.
- وحول النشاطات التي قام كلود كوندرا، انظر رزوق ص : ٤٢-٤٥.

الملاحق

ملحق رقم (١)

المؤتمرات الصهيونية خلال فترة الدراسة

الرقم	المكان	تاريخ الانعقاد	الرئيس	نائبه	عدد المشاركين
الأول	بال	١٨٩٧/٨/٣١-٢٩	هرتزل	نوردو	٥٠٤
الثاني	بال	١٨٩٨/٨/٣١-٢٨	هرتزل	نوردو	٣٤٩
الثالث	بال	١٨٩٩/٨/١٨-١٥	هرتزل	نوردو	١٥٣
الرابع	لندن	١٩٠٠/٨/١٦-١٣	هرتزل	نوردو	٤٩٨
الخامس	بال	١٩٠١/١٢/٣٠-٢٦	هرتزل	نوردو	٣٥٨
السادس	بال	١٩٠٣/٨/٢٨-٢٣	هرتزل	نوردو	٥٩٢
السابع	بال	١٩٠٥/٨/٢-٧/٢٧	نوردو	جاكوب بوهان	٤٩٧

Encyclopaedia of Zionism and Isrel, PP. 280 - 282

ملحق رقم (٢)

زيارات هرتزل إلى استانبول

رقم الزيارة	تاريخها	الواسطة	ملاحظات
الأولى	حزيران	نيفلنسكي	بمناسبة صدور كتاب هرتزل الدولة اليهودية
الثانية	تشرين أول ١٨٩٨	دوق بادن	بمناسبة زيارة القيصر الألماني للدولة العثمانية ١٨٩٨
الثالثة	أيار / ١٩٠١	فاميري	لمقابلة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني
الرابعة	شباط / ١٩٢٠	بدعوة من إبراهيم بك	بدعوة من إبراهيم بك
		مترجم السلطان	
الخامسة	تموز/آب/ ١٩٠٢	إدوارد كرسبي	دعوة من السلطان